فضائل الصحابة

الفضائل: جمع فضيلة، وهو ما يفضل به المرء غيره، ويعد منقبة له.

والمراتب: الدرجات؛ لأن الصحابة درجات ومراتب، كما سيذكرهم المؤلف رحمه الله.

فما جاء من فضائل الصحابة ومراتبهم؛ فإن أهل السنة والجماعة يقبلون ذلك:

- فمثلاً يقبلون ما جاء عنهم من كثرة صلاة أو صدقة أو صيام أو حج أو جهاد أو غير ذلك من الفضائل.

- ويقبلون مثلاً ما جاء في أبي بكر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ حثّ على الصدقة، فجاء أبو بكر بجميع ماله [١] وهذه فضيلة.

- ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة من أن أبا بكر رضي الله عنه كان وحده صاحب رسول الله ﷺ في هجرته في الغار.

- ويقبلون ما جاء به النص من قول الرسول ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه: **«إن من أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر»** [٢].

- وكذلك ما جاء في عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم وما جاء في غيرهم من الصحابة من الفضائل، يقبلون هذا كله.

- وذلك المراتب، فيقبلون ما جاء في مراتبهم، فالخلفاء الراشدون هم القمة في هذه الأمة في المرتبة، وأعلاهم مرتبة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الحديد: ١٠].

---

(١) حسن، رواه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٤) ومسلم (٢٣٨٢).

فالذين أنفقوا وقاتلوا قبل صلح الحديبية أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة في ذي القعدة، فالذين أسلموا قبل ذلك وأنفقوا وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

فإذا قال قائل: كيف نعرف ذلك؟

فالجواب: أن ذلك يعرف بتاريخ إسلامهم؛ كأن نرجع إلى «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر، أو «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، أو غير ذلك من الكتب المؤلفة في الصحابة ﷺ، ويعرف أن هذا أسلم من قبل أو أسلم من بعد «وهو صلح الحديبية».

هذا أحد القولين في الآية، وهو الصحيح، ودليله قصة خالد مع عبد الرحمن بن عوف، وقول البراء بن عازب: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[1].

(١) رواه البخاري (٤١٥٠).

فضل المهاجرين والأنصار

المهاجرون: هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النّبيّ ﷺ قبل فتح مكة.

الأنصار: هم الذين هاجر إليهم النّبيّ ﷺ في المدينة.

وأهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار؛ لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، والأنصار أتوا بالنصرة فقط، فالمهاجرون تركوا أهلهم وأموالهم، وتركوا أوطانهم، وخرجوا إلى أرض هم فيها غرباء، كل ذلك هجرة إلى الله ورسوله، ونصرة لله ورسوله.

والأنصار أتاهم النّبيّ ﷺ في بلادهم، ونصروا النبيّ ﷺ، ولا شكّ أنهم منعوه مما يمنعون منه أبناءهم، ونساءهم.

ودليل تقديم المهاجرين: قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقدم المهاجرين على الأنصار، وقوله: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] فقدّم المهاجرين، وقوله في الفيء: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة:

والشهادة بالجنة نوعان:

شهادة معلقة بوصف، وشهادة معلقة بالشخص، أما المعلقة بالوصف؛ فأن نشهد لكل مؤمن أنه في الجنة، بدون تعيين شخص أو أشخاص، وهذه شهادة عامة، يجب علينا أن نشهد بها؛ لأن الله تعالى أخبر به، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [لقمان: ٨، ٩]، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وأما الشهادة المعلقة بشخص معيّن، فأن نشهد لفلان أو لعدد معين أنهم في الجنة، وهذه شهادة خاصة، فنشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ، سواء شهد لشخص معين واحد أو لأشخاص معيّنين.

ومثالهم العشرة المبشرون بالجنة، والعشرة المبشرون بالجنة، لقبوا بهذا الاسم لأن النبيّ ﷺ جمعهم في حديث واحد، وهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وانظر تراجمهم في المطولات.

وقد جمع الستة الزائدون عن الخلفاء الأربعة في بيت واحد، فاحفظه:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدوح

هؤلاء بشّرهم النّبيّ ﷺ في نسق واحد، فقال: «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة...**»[1] ولهذا لقبوا بهذا اللقب؛ فيجب أن نشهد أنهم في الجنة لشهادة النبيّ ﷺ بذلك.

ثابت بن قيس رضي الله عنه أحد خطباء النّبيّ ﷺ، كان جهوري الصوت، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾** ﴾ [الحجرات: ٢] خاف أن يكون حبط عمله وهو لا يشعر، فاختفى في بيته، ففقده النّبيّ ﷺ، فبعث إليه رجلاً يسأله عن اختفائه فقال: إن الله أنزل قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾** ﴾ وأنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النّبيّ ﷺ حبط

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٥٧).

عملي، أنا من أهل النار!! فأتى الرجل إلى النبيّ ﷺ، فأخبره بما قال ثابت، فقال النّبيّ ﷺ: «**اذهب إليه، فقل له إنك لست من أهل النار، إنك من أهل الجنة**» (١)، فبشره النّبيّ ﷺ بالجنة.

وغيرهم من الصحابة، مثل: أمهات المؤمنين؛ لأنهن في درجة رسول الله ﷺ، ومنهم بلال (٢)، وعبد الله بن سلام (٣)، وعكاشة بن محصن (٤)، وسعد بن معاذ (٥) رضي الله عنهم.

(١) رواه البخاري (١٦١٣) ومسلم (١١٩).
(٢) رواه مسلم (٢٤٥٧).
(٣) رواه البخاري (١٩٨٢) ومسلم (٢٤٨١).
(٤) أخرجه مسلم (٢١٨).
(٥) رواه البخاري (٣٨٠٢) ومسلم (٢٤٦٨).

فضائل العشرة المبشرين بالجنة

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته، ثم خرج فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومي هذا، فجاء المسجد فسأل عن النّبيّ ﷺ فقالوا: وجه هاهنا، قال: فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط فيها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت.

فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر حتى جلس عن يمين النبيّ ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر، كما صنع رسول الله ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت وجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان - يريد أخاه - خيراً يأت به فإذا إنسان يُحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن؟ فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فجئت عمر، فقلت: أذن، ادخل ويُبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر.

ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً - يعني أخاه - يأت به. فجاء إنسان فحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك، وجئت النّبيّ ﷺ فأخبرته فقال: «**ائذن له وبشّره بالجنة مع بلوى تُصيبه**»

فجئتُ فقلت: ادخل ويُبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تُصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاههم من الشق الآخر.

قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم (١).

في هذا الحديث يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه في يوم من الأيام توضأ في بيته وخرج يطلب النّبيّ ﷺ ويقول: «لألزمنّ رسول الله ﷺ يومي هذا» ألزمنّ يعني أكون معه ذاهبًا وآتيًا.

وفي هذا دليل: على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضأ لأجل أن يكون مستعدًا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكانٍ لا يوجد فيه ماء كان على طهارة وصلى، وإذا حضرت جنازة صلى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر؛ لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر وربما أيضًا يحصل له الموت في هذا الوقت فيكون على طهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر لاسيما إذا خرج من بيته.

فخرج رضي الله عنه يطلب النّبيّ ﷺ فأتى المسجد؛ لأن الرسول ﷺ إما في المسجد وإما في بيته في مهنة أهله، وإما في مصالح أصحابه عليه الصلاة والسلام، فلم يجده في المسجد، فسأل عنه فقالوا وجه هاهنا، وأشاروا إلى ناحية أريس وهي بئر حول قباء، فخرج أبو موسى في أثره حتى وصل إلى البئر، فوجد النّبيّ ﷺ هنالك فلزم الباب رضي الله عنه.

فقضى النبيّ ﷺ حاجته وتوضأ ثم جلس على قف البئر يعني أعلى حافته، ودلى رجليه وكشف عن ساقيه، والظاهر والله أعلم أنه كان في ذلك الوقت في حر، وهذا البئر فيه ماء، والماء قريب وحوله الأشجار والنخل والظلال، وعادة الإنسان إذا حصل له مثل ذلك فعل مثل هذا الفعل، فيكشف عن ساقيه ليبرد

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٢٤٠٣).

جسمه، وتأتيه من برودة الماء الذي في البئر، وفي هذا الظل، فجلس عليه الصلاة والسلام متوسطًا للقف أي حافة البئر، ودلى رجليه، وكشف عن ساقيه، وكان أبو موسى على الباب يحفظ باب البئر، فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه، لكن لم يأذن له أبو موسى حتى يستشير النبيّ ﷺ، فقال النّبيّ ﷺ: هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فأذن له، وقال له: يُبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

ويا لها من بشارة، يبشره بالجنة ثم يأذن له أن يدخل ليكون مع الرسول.

فدخل ووجد النّبيّ ﷺ متوسطًا القف فجلس عن يمينه؛ لأن النّبيّ ﷺ يعجبه التيامن في كل شيء، فجلس أبو بكر على يمينه، وصنع مثل ما صنع النّبيّ ﷺ دلى رجليه في البئر، وكشف عن ساقيه كراهة أن يخالف النّبي ﷺ في هذه الجلسة، وإلا فليس من المشروع أن يجلس الإنسان على بئر ويدلي رجليه، ويكشف عن ساقيه، لكنه لا يجب أن يجلس مع النبيّ ﷺ على غير الهيئة التي كان النّبيّ ﷺ يجلس عليها.

فقال أبو موسى - وكان قد ترك أخاه يتوضأ ويلحقه -: «إن يُرد الله به خيرًا يأتِ به»، وإذا جاء واستأذن فقد يحصل له أن يبشر بالجنة، ولكن استأذن الرجل الثاني، فجاء أبو موسى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: هذا عمر قال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فأذن له، وقال له: يبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

فدخل فوجد النّبيّ ﷺ وأبا بكر على القف، فجلس عن يسار الرسول ﷺ، والبئر ضيقة، ليست واسعة كثيرًا، فهؤلاء الثلاثة كانوا في جانب واحد، ثم استأذن عثمان وصنع أبو موسى مثل ما صنع من الاستئذان، فقال النّبيّ ﷺ: «**ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه**» فأذن له، وقال: يُبشرك الرسول ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك، فاجتمع في حقه نعمة وبلوى، فدخل فوجد القف قد امتلأ؛ لأنه ليس واسعًا كثيرًا، فذهب إلى الناحية الأخرى تجاههم وجلس فيها ودلى رجليه، وكشف عن ساقيه.

أوّلها سعيد بن المسيب - أحد كبار التابعين - على أنها قبور هؤلاء؛ لأن قبور الثلاثة كانت في مكان واحد، فالنبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر كلهم كانوا في حجرة واحدة، دُفنوا جميعًا في مكان واحد، وكانوا في الدنيا يذهبون جميعًا ويرجعون جميعًا، ودائمًا يقول النّبيّ ﷺ: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ورجعت أنا وأبو بكر وعمر**» فهما صاحباه ووزيراه، ويوم القيامة يخرجون من قبورهم جميعًا، فجلس عثمان رضي الله عنه تجاههم، وبشره عليه الصلاة والسلام بالجنة مع بلوى تصيبه، وهذه البلوى هي ما حصل له رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه، وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته رضي الله عنه، حيث دخلوا عليه في بيته في المدينة وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه.

ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٣٧)﴾ [البقرة: ١٣٧]. والله أعلم.

لكن على كل حال هو رضي الله عنه كان معروفًا بكثرة القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه، فقتل شهيدًا، وبذلك تحقق قول الرسول ﷺ حينما صعد على جبل أُحد - وهو جبل كبير معروف في المدينة - هو وأبو بكر وعمر وعثمان، وارتج بهم الجبل، وهذا من آيات الله، ليس هو ارتجاج نقمة وخسف، لكنه ارتجاج فرح، فلما ارتجّ بهم الجبل قال له النّبيّ ﷺ: «**اثبت أُحُد فإن عليك نبيّ وصديق وشهيدان**»(١) فالنّبيّ هو عليه الصلاة والسلام، والصديق هو أبو بكر، والشهيدان عمر وعثمان، وكلاهما رضي الله عنهما قُتل شهيدًا، أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قُتل في المحراب، وأما عثمان فقُتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما، وألحقنا وصالح المسلمين بهما في دار النعيم المقيم.

فهذه القصة فيها بشارة لأبي بكر وعمر وعثمان؛ فرضي الله عنهم جميعًا، وجعلنا والمسلمين ممن يحشرون في زمرة محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) والترمذي (٣٦٩٧).

مسألة

ويجب علينا أن نقول: أن هؤلاء أفضل الصحابة؛ لأن النّبيّ ﷺ جمعهم في نسق واحد في حديث واحد، وهل اقتصرت شهادة النّبيّ ﷺ لأحد بالجنة على هؤلاء؟ لا، شهد لأناس كثيرين غير هؤلاء، عكاشة بن محصن شهد له بأنه يدخل الجنة بلا حساب، ولا عذاب؛ لأنه لما حدّث النبيّ عليه الصلاة والسلام، أن من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، قام عكاشة، وقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: «**أنت منهم**»(١).

وثابت بن قيس بن شماس ﷺ قال له النّبيّ ﷺ: «**يحيا سعيدًا ويقتل شهيدًا ويدخل الجنة**»(٢)، وكذلك المرأة التي تصرع فقال لها النّبيّ ﷺ: «**إن شئت دعوت الله لك، وإن شئت صبرت ولك الجنة**»(٣)، فقالت: أصبر.

وتتبع هذا إذا تتبعه الإنسان يتبين له أناس كثيرون ممن شهد لهم النّبيّ ﷺ بالجنة.

والشهادة بالجنة نوعان:

١ - شهادة بوصف. ٢ - شهادة بشخص.

فأما الشهادة بالوصف: فأن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة على سبيل العموم.

وأما الشهادة بالشخص: فأن نشهد لشخص بعينه بأنه من أهل الجنة.

وكلاهما أو كلتاهما (أي الشهادتان) قد دلّ عليها الكتاب والسنّة، فمثلاً: بين الله تعالى في القرآن أن الجنة أُعدت للمتقين فنشهد لكل متقٍ أنه في الجنة،

(١) صحيح، أخرجه مسلم (٢١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٢٦٠).

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

لكن هل نشهد لفلان أنه في الجنة إذا رأيناه تقيًا؟ لا؛ لاحتمال أن يرد عليه في آخر عمره أشياء تصرفه عن التقوى فلا نشهد بالجنة للتابعين إلاّ لمن عيّنه الرسول ﷺ، ولا نشهد بالوصف إلاّ لمن شهد له الله ورسوله، والشهادة بالوصف لا تجوز الشهادة بالعين، فمثلاً نقول: كل مؤمن فإنه في الجنة، كل تقي في الجنة.

لكن هل نشهد بأن فلانًا المعين في الجنة؟ لا، كذلك أيضًا في الشهادة كل من قُتل في سبيل الله فهو شهيد.

لكن لو رأينا رجلاً مسلمًا قُتل في المعركة هل نقول إنه شهيد؟ لا، لأننا لو قلنا بأنه شهيد للزم من ذلك أن نشهد له بالجنة وهذا لا يجوز.

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «من أجمعت الأمة أو كادت أن تُجمع على الثناء عليه، فإننا نشهد له بالجنة [١]، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإنه قد مرّت جنازة والنّبيّ ﷺ جالس في أصحابه، فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «وجبت» ثم مرّت أخرى فأثنوا عليها شرًا، فقال: «وجبت» فقالوا: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: «**مرت الجنازة الأولى فأثنيتم عليها خيراً، فقلت: وجبت، أي وجبت له الجنة، والثانية: أثنيتم عليها شراً، فقلت: وجبت، أي وجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه**» [٢].

ويأخذ من هذا الرأي أنه يجوز أن نشهد للإمام أحمد بأنه من أهل الجنة؛ لاتفاق الناس أو جملتهم عليه، وكذلك بقية الأئمة وأئمة الأتباع لأنهم ممن اتفق الناس أو جلهم على الثناء عليهم.

قوله: فأهل بدر: بعد العشرة أهل بدر والعشرة من أهل بدر، يعني لا يمتنع أن يكون في الإنسان وصفان أهل بدر هم الذين قاتلوا مع النّبيّ ﷺ في بدر.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٥١٨، ١٨/٣١٣، ٣١٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩).

وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وكان سببها: أن النّبيّ ﷺ سمع بعيرٍ لقريش جاءت من الشام تُريد مكة، وهي لابد أن تمر بالمدينة أو حولها؛ فندب أصحابه إلى الخروج لهذه العير لأخذها، فانتدب منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فقط على سبعين بعير وفرسين فقط، وكانوا لا يريدون الغزوة، ولا فكروا أن يكون هناك غزو، إنما أرادوا عير قريش مع أبي سفيان، وهي عير كبيرة (يعني إبل محملة بالطعام والثياب وغيرها) ولهذا كان معها أبو سفيان من كبراء قريش، فلولا أنها عير كبيرة لم يكن معها هذا الزعيم.

فإذا قال قائل: كيف يجوز للرسول ﷺ أن يخرج ليأخذ أموالهم؟

نقول: إذا أخذ أموالهم فليست بشيء بالنسبة لإخراج الرسول ﷺ وأصحابه من ديارهم وأموالهم والرسول أراد أن يأخذ أموالهم فقط وهي من الأنفال التي نفلها الله عز وجل ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١] .

لما سمع أبو سفيان بالخبر وأن الرسول ﷺ خرج هو وأصحابه إليهم وكان رجلاً ذكيًا عدل عن الطريق إلى سيف البحر وأرسل إلى أهل مكة يستصرخهم لا للقتال، و لكن لإنقاذ العير فقط، وظنّ أنهم سيرسلون فلانًا وفلانًا من عامة الناس لإنقاذ العير ويرجعون، ولكن قريش أخذتهم الحمية، وقالوا: كيف يتعرض محمد لعيرنا بقيادة زعيم من زعمائنا؟ لابد أن نخرج نقضي عليه.

المهم تشاوروا فيما بينهم هل نمضي أو نرجع؟ فكان أبو جهل يلمزهم في هذا، يعني كيف تفكرون بالرجوع، وقد خرجتم، والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا ونُقيم فيه ثلاثًا ننحر الجزور ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا. انظر فخر بطر، ولكن الحمد لله لم تنحر الجزور، ولكن قدموا بدرًا وتلاقى الصفان وتراءى الجمعان، وحصل ما حصل، وبني للرسول عريش يدخل فيه يدعو الله سبحانه وتعالى بالنصر؛ لأنه إذا استنفذنا قوتنا المادية والحسية لم يبقَ إلاّ الدعاء مع القوة المادية والحسيّة وعدم استعمالها

هذا خطأ، لكن الدعاء عند العجز هذا واجب وإن جمعت بينهما فخير، لكن قام يدعو الله عز وجل، ثم ماذا كان الأمر؟ قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١١].

فنفرت الملائكة ونزلت تقاتل تثبت المؤمنين وتُلقي في قلوب الكفار الرعب، فهربوا وقُتل هذا الزعيم الذي يقول إننا لن نرجع حتى نقدم بدراً وآخر ما قال: وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً، لكن العرب سمعت بهم فنزلت مرتبتهم عند العرب.

وقد سبق لنا أن الخلفاء الأربعة هم أفضل الصحابة وأن أفضلهم أبو بكر رضي الله عنه وأن ترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة، أي أن علماء أهل السنة اختلفوا في أمر عثمان وعليّ:

١ – فبعضهم رتب فضلهما على الخلافة.

٢ – وبعضهم قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣ – وبعضهم ذكر عثمان ثم سكت.

٤ – وبعضهم توقف.

وأن الذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة: تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما وهذا هو ما ندين الله به، ومع ذلك فإننا نُحب عليّ بن أبي طالب من وجه آخر، ونقدمه من وجه آخر، وهو قرابته من رسول الله ﷺ، ولكن الفضل في خصيصة واحدة لا يعني الفضل المطلق، بعد الأربعة الأفضل العشرة المبشرون بالجنة، والمبشرون بالجنة أكثر من عشرة، لكن هؤلاء عشرة ذكرهم النّبيّ ﷺ في نسق واحد.

فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ويدل لذلك: أن الله تعالى لم يصفْ أحداً من الصحابة بأنه صاحب رسول الله ﷺ إلا أبا بكر، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وهذه منقبة عظيمة لم ينلها إلاّ من هو أهل لها وهو أبو بكر ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وأعلم حيث يجعل فضله، فهذا الفضل العظيم لأبي بكر لم ينله أحد.

وقال النّبيّ ﷺ: «**لو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر**»، ما قال اتخذت فلانًا ولا فلانًا، قال: «**لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته**»، وقال: «**لا يبقينّ في المسجد باب ولا خوخة إلاّ سُدّت إلاّ باب أبي بكر**»[1].

أفبعد هذا يُقال إن غيره أفضل منه؟ لا والله، يقول ﷺ: «**أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر**» مع أن المنة حقيقية لمن؟! للرسول عليه الصلاة والسلام، يعني كون أبي بكر يكون صاحبًا للرسول ولم يطرده الرسول أو يُعرض عنه أو يُريه وجه غضب، هذا منّة للرسول ﷺ في الواقع، لكن من كرم الرسول ﷺ جعل المنة من أبي بكر عليه، كذلك أيضًا الصحبة المنة لمن؟ للرسول ﷺ، والمنة الأولى للجميع، لله عز وجل؛ ولهذا لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام للأنصار يُبيّن ما منّ الله به عليهم كلما ذكر لهم أن الله هداهم به وأغناهم به وألفهم به، قالوا: الله ورسوله أمن.

إذن ليس في الأمة مثل أبي بكر رضي الله عنه في الفضل، والمعروف الذي هو الإحسان، والعدل وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكل شيء ليس فيها مثل أبي بكر، حتى إن الرسول ﷺ ذات يوم حثّ على الصدقة فانصرف الناس

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢).

ليتصدقوا، فقال عمر رضي الله عنه: الآن أسبق أبا بكر. انظر كيف يتسابقون، فأتى بنصف ماله، الله أكبر نصف ماله أتى به في الصدقة، الواحد إذا أراد أن يُخرج ربع العشر وهو واجب صار يحمر ويصفر، ويمكن أن يسأل العلماء لعلّ أحداً منهم يقول: هذا ليس فيه زكاة، أتى بنصف ماله فسأله الرسول ﷺ: «**ماذا تركتَ لأهلك؟**» قال: شطر المال، فأتى أبو بكر بكل ماله فسأله الرسول ﷺ: «**ماذا تركت لأهلك**» قال: تركتُ لهم الله ورسوله، الله أكبر كل المال، ما بقي شيء، فقال عمر: الآن لا أُسابق أبا بكر أبداً (١).

عرف أنه عاجز أن يسبقه وعمر هو الرجل الثاني في هذه الأمة،إذن لا يسبق أبا بكر أحدٌ من هذه الأمة مادام الرجل الثاني عجز عن مسابقته أو عن سبقه، فمن دونه من باب أولى.

والصديق: هذا لقب أبي بكر رضي الله عنه، وكنيته أبو بكر، واسمه عبد الله، وإنما سمي الصديق من الفعيل من الصدق، لكمال صدقه في المقال والفعال، ولتصديقه لرسول الله ﷺ حين كذبه الناس.

ويُقال: أول ما لُقّب بهذا اللقب لما حدّث النّبيّ ﷺ عن الإسراء والمعراج، اتخذت قريش هذه فرصة، وذهبت إلى أبي بكر، وقالت: إن صاحبك يُحدّث بحديث المجانين، يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ورجع منه، ونحن لا نصل إليه إلاّ في شهر، ولا نرجع إلاّ في شهر، فقال: إن كان ما قلتم حقًا فهو صادق، انظر هذا الاحتراز، لم يقل: هو صادق؛ لأنه يحتمل أنهم كذبوا على الرسول، إن كان ما حدثتموني به فهو صادق، فسمي من ذلك اليوم الصديق.

ولاشك أنه أصدق هذه الأمة في المقال والفعال والمقاصد وغيرها وأنه أقواها يقينًا وتصديقًا، فهو رضي الله عنه ليس في هذه الأمة مثله، لو لم يكن من حسناته على هذه الأمة إلاّ استخلاف عمر بن الخطاب لكفى بذلك فخرًا؛ لأنه لا أحد يُنكر ما

---

(١) حسن، اخرجه الترمذي (٣٦٧٥) وابو داود (١٦٧٨) وحسّنه الالباني في صحيح الترمذي.

صار لعمر بن الخطاب ﷺ من السياسة الحكيمة والحكم العادل والفتوحات العظيمة، وإذلال أهل الشرك؛ فلذلك يعتبر عمر حسنة من حسنات أبي بكر على هذه الأمة، جمعنا الله وإياكم وإياهم في دار النعيم المقيم.

وعن أبي هبيرة عائذ بن عمرو المزني وهو من أهل بيعة الرضوان ﷺ أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النّبيّ ﷺ فأخبره، فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك؟**» فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[1]. قوله «مأخذها» أي: لم نستوفِ حقها منه، وقوله: «يا أخي» روى بفتح الهمزة وكسر الخاء وتخفيف الياء، وروي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء.

ذكر المؤلف – رحمه الله تعالى – فيما نقله في قضية الضعفاء والمساكين، وأنه تجب ملاطفتهم والرفق بهم والإحسان إليهم، أن أبا سفيان مرّ بسلمان وصهيب وبلال، وهؤلاء الثلاثة كلهم من الموالي، صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، فمر بهم فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، يعني: يريدون أنهم لم يشفوا أنفسهم مما فعل بهم أسيادهم من قريش، الذين كانوا يعذبونهم ويؤذونهم في دين الله عز وجل، فكان أبو بكر ﷺ لامهم على ذلك، وقال: أتقولون لسيد قريش هذا الكلام.

ثم إن أبا بكر أخبر النّبيّ ﷺ بذلك، فقال له: «**لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» يعني أغضبت هؤلاء النفر – مع أنهم من الموالي، وليسوا بشيء في عداد الناس وأشرافهم – لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فذهب أبو بكر ﷺ إلى هؤلاء النفر وسألهم: أغضبتكم؟ قالوا: لا، قال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أبا بكر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

فدلّ هذا على أنه لا يجوز للإنسان أن يترفع على الفقراء والمساكين ومن ليس لهم قيمة في المجتمع؛ لأن القيمة الحقيقية هي قيمة الإنسان عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والذي ينبغي للإنسان أن يخفض جناحه للمؤمنين ولو كانوا غير ذي جاه؛ لأن هذا هو الذي أمر الله به نبيه ﷺ، حيث قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وفي هذا دليل على ورع أبي بكر رضي الله عنه وعلى حرصه على إبراء ذمته،وأن الإنسان ينبغي له، بل يجب عليه إذا اعتدى على أحد بقول أو فعل أو بأخذ مال أو سب أو شتم أن يستحله في الدنيا، قبل أن يأخذ ذلك منه في الآخرة؛ لأن الإنسان إذا لم يأخذ حقه في الدنيا فإنه يأخذه يوم القيامة، ويأخذه من أشرف شيء وأعز شيء على الإنسان، يأخذه من الحسنات، من الأعمال الصالحة التي هو فيها، وفي حاجة إليها في ذلك المكان.

قال النّبيّ ﷺ: «**ماذا تعدون المفلس فيكم؟**» قالوا: من ليس له درهم ولا دينار، أو قالوا: ولا متاع. فقال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء وإلاّ أخذ من سيئاتهم فطرح عليه، ثم طُرح في النار**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحسن الكهانة إلاّ أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) وأحمد (٢/٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٢).

نقل الحافظ النووي - رحمه الله - في باب الورع وترك الشبهات عن عائشة رضي الله عنها أن غلامًا كان لأبي بكر، وكان أبو بكر يخارجه أي يدعه يشتغل ويضرب عليه خراجًا معينًا، ويقول: ائت لي كل يوم بكذا وكذا وما زاد فهو لك.

وهذه المخارجة جائزة بالنسبة للعبيد، إذا كان الإنسان عنده عبيد، وقال لهم: اذهبوا اشتغلوا وائتوني كل يوم بكذا وكذا من الدراهم، وما زاد فهو لكم، فإنّ هذا جائز؛ لأن العبيد ملك للسيد، فما حصلوه فهو له سواء خارجهم على ذلك أم لم يخارجهم.

لكن فائدة المخارجة أن العبد إذا حصل ما اتفق عليه مع سيده، فإن له أن يبقى من غير عمل، يذهب في طلب العلم، يبقى مستريحًا في بيته أو أن يشتغل ويأخذ ما زاد.

أما بالنسبة للعمال الذين يجلبهم الإنسان إلى البلاد، ويقول: اذهبوا وعليكم كل شهر كذا وكذا من الدراهم، فإن هذا حرام وظلم ومخالف لنظام الدولة، والعقد على هذا الوجه باطل، فليس لصاحب العمل شيء مما فرضه على هؤلاء العمال؛ لأن العامل ربما يكدح ويتعب ولا يُحصل ما فرضه عليه (كفيله) وربما لا يُحصل شيئًا أبدًا، فكان في هذا ظلم. أما العبيد فهم عبيد الإنسان، مالهم وما في أيديهم فهو له.

هذا الغلام لأبي بكر قد خارجه على شيء معين يأتي به إليه كل يوم، وفي يوم من الأيام قدم هذا الغلام طعامًا لأبي بكر فأكله، فقال: أتدري ما هذا؟ قال: وما هو؟ قال: هذا عوض عن أجرة كهانة تكهنت بها في الجاهلية، وأنا لا أُحسن الكهانة، لكني خدعتُ الرجل فلقيني فأعطاني إياها.

وعوض الكهانة حرام، سواء كان الكاهن يُحسن صنعة الكهانة أو لا يُحسن؛ لأن النّبيّ ﷺ نهى عن «حُلوان الكهان» [1] فلما قال لأبي بكر هذه المقالة أدخل

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٧) ومسلم (١٥٦٧).

أبو بكر يده في فمه فقاء كل ما أكل، وأخرجه من بطنه؛ لئلاً يتغذى بطنه بحرام، وهذا مال حرام؛ لأنه عوض عن حرام، وقد قال النبيّ ﷺ: «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**»(١).

فالأجرة على فعل الحرام حرام، ومن ذلك تأجير بعض الناس دكاكينهم على الحلاقين الذين يحلقون اللحى، فإن هذه الأجرة حرام، ولا تحل لصاحب الدكان؛ لأنه استؤجر منه لعمل محرم.

ومن ذلك أيضًا تأجير البنوك في المحلات، فإن تأجير البنوك حرام؛ لأن البنك معاملته كلها أو غالبها حرام، وإذا وجد فيه معاملة حلال فهي خلاف الأصل الذي من أجله أُنشئ هذا البنك؛ فالأصل في إنشاء البنوك أنها للربا، فإذا أجر الإنسان بيته أو دكانه للبنك، فتعامل فيه بالربا، فإن الأجرة حرام، ولا تحل لصاحب البيت أو صاحب الدكان.

وكذلك من أجّر شخصًا يبيع المجلات الخليعة أو المحتوية على الأفكار الرديئة ومصادمة الشرع؛ فإنه لا يجوز تأجير المحلات لمن يبيع هذه المجلات؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]، وتأجير المحلات لهؤلاء معونة لهم، وقال النبيّ ﷺ: «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**».

وفي هذا الحديث: دليل على شدة ورع أبي بكر رضي الله عنه، فهو جدير بهذا؛ لأنه الخليفة الأول على هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ولهذا كان قول أهل السنة والجماعة أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة؛ لأنه الخليفة الأول؛ ولأن الرسول ﷺ قد خطب الناس في مرضه وقال: «**إنه ليس من الناس أحدًا أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر**»، ثم قال: «**ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر، ولكن خلة الإسلام أفضل**»(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٣٤٨٨) وأحمد (١/٢٤٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٣٨٢).

والنصوص في هذا كثيرة متواترة، حتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه القائل بالصدق وبالقسط والعدل، كان يقول على منبر الكوفة، وقد تواتر عنه ذلك: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»(١) هكذا يقول رضي الله عنه، وقال: «لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حد المفتري» يعني جلد القذف والكذب، وهذا تواضعه رضي الله عنه في الحق، وقول الصدق.

وفيه: رد ظاهر على الروافض الذين يُفضلون عليًا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل بعضهم يفضل عليًا على رسول الله ﷺ، ويقول: عليّ أفضل من محمد وأحق بالرسالة ولكن جبريل خان الأمانة وانصرف بالرسالة عن عليّ إلى محمد!! ولاشك أنهم على ضلال بيّن - والعياذ بالله - نسأل الله لنا ولهم الهداية.

والحاصل أن أبا بكر رضي الله عنه كان من أهل الورع والزهد والبعد عن المشتبهات؛ ولذلك فقد قاء كل ما في بطنه بعد أن أكله، حتى لا يتغذى بطنه على شيء جاء من حرام أو من طريق شبهة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة**» قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»(٢).

الشرح: هذا الحديث يدل على فضل الصيام، فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله**

(١) انظر كنز العمال (٣٢٦٨٤) والعقيلي في الضعفاء (٣/١٨١).
(٢) أخرجه البخاري (١١٩٧) ومسلم (١٠٢٧).

هذا خير» وزوجين: صنفين، مثل أن يُنفق دراهم ودنانير أو دراهم وأمتعة أو خيلاً وإبلاً وما أشبه ذلك، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧]، أي أصنافًا ثلاثة.

ثم ذكر الرسول ﷺ أبواب الجنة، وفي قوله: «**دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير**» يعني أن الملائكة تدعوه من كل باب فنقول هذا خير هذا خير، وهذا يدل على فضل الإنفاق في سبيل الله وفيه أيضًا أنه من كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان؛ لأن هذا الباب خاص بهم، فالريان يعني الذي يروي؛ لأن الصائمين يعطشون ولاسيما في أيام الصيف الطويلة الحارة، فيجاوزون بتسمية هذا الباب بما يختص بهم باب الريان، وقوله: «**من كان من أهل الصدقة... من أهل الجهاد... من أهل الصيام**» يعني من كان يُكثر من هذا الشيء، وهذا يعني من صام فقط ولم يكن يُصلي، فإنه لا يدخل الجنة؛ لأنه كافر.

لكن المراد بذلك المسلمون الذين يكثرون الصلاة فإنهم يدعون من باب الصلاة والذين يُكثرون الصدقة يدعون من باب الصدقة...، وعلى كل حال من كان من أهل الجنة دخل الجنة من أي باب كان وأبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة، أما أبواب النار فذكرها الله في القرآن فقال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٤] أما أبواب الجنة الثمانية فصحت بها السنة عن النّبيّ ﷺ (١).

ولما حدّث النّبيّ ﷺ بهذا الحديث قال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما على من دعي من أحد هذه الأبواب من ضرورة؟ يعني الذي يدعى من باب واحد لا يشق عليه، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها؟! يعني كل باب عليه ملائكة ينادون عليه، يا فلان، قال: نعم، يعني: ممكن أن يكون الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

كثير الصلاة كثير الصدقة، والجهاد، فيُدعى من الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

فأبو بكر رضي الله عنه يدعى من الأبواب الثمانية كلها؛ لأنه رضي الله عنه سباق إلى الخير، كل الخير له فيه نصيب، حتى إنه رضي الله عنه عندما حثّ النّبيّ ﷺ ذات يوم على الصدقة، ورغب فيها، فأتى عمر رضي الله عنه وكان يحب أن يسبق أبا بكر لا حسداً لأبي بكر، ولكن حبًا في السبق إلى الخير، فأتى عمر بنصف ماله للصدقة، فلما جاء إلى النبيّ ﷺ إذا أبو بكر قد جاء بجميع ماله، فقال له الرسول ﷺ: «**ماذا تركت لأهلك؟**» قال: تركت لهم الله ورسوله، قال عمر: والله لا أسابقه بعدها أبداً؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه أسبق الصحابة على الخير، وأقواهم إيمانًا، وأشدهم تصديقًا بالله ورسوله.

وعن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء وأن النّبيّ ﷺ قال مرة: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس وبسادس**» أو كما قال، وأن أبا بكر رضي الله عنه جاء بثلاثة، وانطلق النّبيّ ﷺ بعشرة، وأن أبا بكر تعشى عند النّبيّ ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله، قالت امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أوَما عشيتيهم؟! قالت: أبوا حتى تجيء. وقد عرضوا عليهم.

قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غنثر، فجدع وسبّ وقال: كلوا هنيئًا، والله لا أطعمه أبدًا، قال: وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النّبيّ ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا

وبين قوم عهد، فمضى الأجل، فتفرقنا اثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون.

وفي رواية: فحلف أبو بكر لا يطعمه، فحلفت المرأة ألا تطعمه فحلف الضيف أو الأضياف ألا يطعمه أو يطعموه حتى يطعمه، فقال أبو بكر: هذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا، فجعل لا يرفعون لقمة إلاّ ربت من أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر منها قبل أن نأكل، فأكلوا وبعث بها إلى النّبيّ ﷺ فذكر أنه أكل منها.

وفي رواية: أن أبا بكر قال لعبد الرحمن: دونك أضيافك، فإني منطلق إلى النّبيّ ﷺ فافرغ من قراهم قبل أن أجيء، فانطلق عبد الرحمن، فأتاهم بما عنده، فقال: اطعموا. فقالوا: أين رب منزلنا؟ قال: اطعموا. قالوا: ما نحن بآكلين حتى يجيء رب منزلنا، قال: اقبلوا عنّا قراكم، فإنه إن جاء ولم تطعموا لنلقين منه، فأبوا، فعرفت أنه يجد عليّ، فلما جاء تنحيّت عنه، فقال: ما صنعتم؟ فأخبروه، فقال: يا عبد الرحمن. فسكت، ثم قال: يا عبد الرحمن. فسكت، فقال: يا غنثر، أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت، فخرجت، فقلت: سلْ أضيافك فقالوا: صدق أتانا به، فقال: إنما انتظرتموني والله لا أطعمه الليلة، فقال الآخرون: والله لا نطعمه، فقال: ويلكم ما لكم لا تقبلون عنّا قراكم؟ هات طعامك، فجاء به، فوضع يده، فقال: بسم الله، الأولى من الشيطان، فأكل وأكلوا[1].

الشرح: وهذه القصة في باب كرامات الأولياء التي رواها أنس عما حصل للنبيّ ﷺ، وذلك أن قومًا من المهاجرين كانوا يأتون إلى المدينة وهم قوم فقراء ليس عليهم إلاّ ثيابهم، وليس عندهم شيء، وكان في المسجد صفة يأوون إليها، ثم يسر الله لهم من يأتي إليهم ويحملهم معه إلى بيته ويطعمهم في ذات ليلة،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢، ٦١٤٠) ومسلم (٢٠٥٧).

قال النّبيّ ﷺ: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بالثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس**» وهكذا، أي أمر أصحابه أن يأخذوا معهم أصحاب الصفة ليطعموهم.

وكان النّبيّ ﷺ أكرم الناس، ذهب بعشرة ﷺ وجاء أبو بكر بأربعة وذهب الناس بعضهم بثلاثة وبعضهم بأربعة حسب حالهم، أبو بكر رضي الله عنه ذهب بأضيافه إلى بيته وأوصى ابنه عبد الرحمن أن يقوم بضيافتهم، وانطلق هو إلى النّبيّ ﷺ؛ لأنه رضي الله عنه كان أشد الناس ملازمة للرسول يكون معه دائمًا، فذهب إلى النّبيّ ﷺ وتعشى عنده، ثم رجع إلى أهله، وقد مضى شيء من الليل، فسألهم: أطعمتم أضيافكم؟ فقالوا: لا، وظنّ أنهم هم الذين تأخروا عن أضيافهم حتى يأتي أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يسب ويجدع، يعني معناه: أنه اشتدّ في سبه، ونادى ابنه عبد الرحمن، يا عبد الرحمن، فلم يُجبه، خوفًا منه؛ لأنه رضي الله عنه كان شديداً على أهله في تأديبهم، فلم يجبه خوفًا من أن يتكلم عليه، أو يضربه أو ما أشبه ذلك، حتى أقسم عليه أنه إذا كان يسمعه فليجبه، فأجابه فقال لهم: لماذا أخرتم ضيافة القوم؟ قالوا: اسأل أضيافك، فسألهم، قالوا: نعم، هم عرضوا علينا الضيافة، ولكن أبينا حتى تأتي فأقسم رضي الله عنه أن لا يأكل، قال: والله ما آكل، يعني أنكم تأخرتم من أجلي إذن أنا لا آكل، وأقسم أن لا يأكل، فأقسم الأضياف أن لا يأكلوا إكرامًا له، فصار الآن عندنا قسمان:

قسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا يأكل، وقسم الأضياف أن لا يأكلوا، فأيهم أولى؟ أن نبرّ بقَسَم أبي بكر ويأكل الأضياف أو بقسم الأضياف ولا يأكلون، الثانى أولى: فقال رضي الله عنه: إنما ذلك من الشيطان يعني كونه يحلف أن لا يأكل، هذا من الشيطان، ثم أكل فأكل الأضياف، لكن الكرامة التي حصلت أن الواحد منهم إذا أخذ لقمة من الإناء ارتفع الإناء، صار بدل اللقمة أكثر منها في نفس الإناء، ومن أين جاء هذا؟ من الله عز وجل كرامة لأبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضل هذه الأمة

على الإطلاق؛ لأنه خير هذه الأمة ثم انتهوا فبقي أكثر ما كان في الإناء من قبل فأخذه أبو بكر، وذهب به إلى النّبيّ ﷺ، ودعا النّبيّ ﷺ إليه أقوامًا، فأكلوا.

وإنما حمله أبو بكر ليريه النّبيّ ﷺ وكيف كان هذا الأمر من عند الله عز وجل الذي بيديه ملكوت كل شيء وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

الشاهد من هذا الحديث: هذه الكرامة لوليّ من أولياء الله، وهو أبو بكر رضي الله عنه ونحن نشهد أنه وليّ من أولياء الله، وأنه أفضل أولياء الله على الإطلاق ما عدا النبيّين والمرسلين؛ لأنه رضي الله عنه من الصديقين يعني في المرتبة الثانية من صالح الأمم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، فهو رضي الله عنه أفضل الصديقين منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو من أولياء الله، وهذه من كرامته رضي الله عنه وفي الحديث فوائد كثيرة:

من فوائده: ذكرنا أن فيه دليلاً على فضيلة أبي بكر رضي الله عنه وأنه من أولياء الله وذكرنا أن أبا بكر هو أفضل أولياء الله بعد النبيين؛ لأن أبا بكر من الصديقين الذين هم في المرتبة الثانية من أصناف الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا غضب بسبب يقتضي الغضب، فإنه لا يُلام عليه؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه غضب فسبّ وجدع، وحتى إن ابنه عبد الرحمن اختفى منه خوفًا منه، وجعل يُنادي ويقول: يا غنثر. والغنثر: هو الغبي الجاهل؛ فهذا دليل على أن الإنسان إذا غضب لسبب يقتضي الغضب، فإنه لا يُلام عليه، ولا يخدش من فضله ولا مرتبته.

وفيه أيضًا: أنه لا بأس أن الإنسان يصف ابنه أو من له ولاية عليه بالغباء والجهل إذا فعل فعلاً يقتضي أنه غبيّ جاهل، وفيه أن من عادة الناس، حتى في العهد القديم، أن الضيف والمضيف يحصل منهم الحلف والأيمان، مثل والله

تأكل، والله ما آكل، والله تدخل، والله ما أدخل، ولكنهم يحلفون بالله أما ما يفعله كثير من الجهلة اليوم، يحلفون بالطلاق فهذا غلط، كثير من البادية إذا نزل به ضيف، وخاف الضيف أن صاحب البيت يذبح له ذبيحة، قال: عليّ الطلاق، وعليّ الحرام، وامرأتي كامي - والعياذ بالله - إن ذبحت لي ذبيحة، وهذا حرام **«من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»** [1] فهذا لا يجوز .أما الحلف بالله فهذا قد جرت به العادة قديمًا وهو من عادات الناس، والعرب وشبههم، ومع هذا الأفضل أنك إذا حلفت على إنسان أن تقرنها بكلمة «إن شاء الله» تقول: والله إن شاء الله؛ لأنك إذا قلت: والله إن شاء الله، استفدت فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: أن الله يسهل لك الأمر.

والفائدة الثانية: أنه إذا لم يتيسر، لم يكن عليك كفارة، فاقرن يمينك دائمًا، بقول: إن شاء الله حتى تسلم من الحنث، وحتى يتيسر لك الأمر.

ألم يأتكم نبأ سليمان؟ قال يومًا من الأيام، والله لأطوفن اليوم على تسعين امرأة تلد كل منهن غلامًا يُقاتل في سبيل الله، يعني يجامع تسعين امرأة كل امرأة تلد غلامًا يُقاتل في سبيل الله، انظر كيف كان الأنبياء يُحبون القتال، تمنى أن يرزقه الله هذا العدد الكبير من الأولاد ليُقاتلوا في سبيل الله، فقيل له: قل: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله؛ لأنه جادٌ عابدٌ، لكن وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله، ما قال ليعينوني (ليساعدوني) على التجارة، وعلى الزراعة، ولا على الدنيا، ليُقاتلوا في سبيل الله، جامع تسعين امرأة في تلك الليلة، وقد أعطاه الله قوة، فما الذي حصل؟ ولدت واحدة منهن نصف إنسان أي مشلول، آية من الله، ليريه الله عز وجل أن الأمر بيده عز وجل، قال نبينا محمد ﷺ: **«لو قال: إن شاء الله، لم يحنث ولقاتلوا في سبيل الله»** [2] يعني لو قال: إن شاء الله لسهل الأمر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٣) ومسلم (١٦٤٩).

والنّبيّ ﷺ لما جاءته قريش قالوا: خبرنا عن قوم كانوا في الزمن الأول خرجوا من بلادهم وكانوا في غار، أو قالوا حدثنا عن ذي القرنين، قال: غداً أحدثكم، والنّبيّ ﷺ ما يعلم، لا يدري ما قصتهم؛ لأنه لا أدركها ولا هناك تواريخ موثوقة، فقال: «**غداً أُخبركم**» جاء الغد وما نزل عليه الوحي؛ لأن رسول الله ﷺ يعلم أن الوحي ينزل عليه بالليل، ما نزل الوحي، اليوم الثاني ما نزل الوحي، الثالث، الرابع، الخامس... بقي خمسة عشر يومًا، وما نزل عليه الوحي، وهذا سيكون شديداً على الرسول ﷺ؛ لأنه وعد قريشًا أعداءه أنه سوف يُخبرهم في الغد، ولم يخبرهم.

فأنزل الله القصة، وقيل له: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، فالأمر بيد الله؛ لهذا نقول: إذا رأيت أن تحلف، أي شيء، على نفسك، على أولادك، على ضيفك، على أي إنسان، اقرن ذلك بكلمة إن شاء الله لتحصل على هاتين الفائدتين، وهما التيسير أن الله ييسّر الأمر ويعطيك ما حلفت عليه، والثانية أنه لو أخلفت الأمور فإنه لا كفارة عليك. والله الموفق.

نُكمل الكلام عن حديث أبي بكر رضي الله عنه السابق مع أضيافه، ذكرنا أنه رضي الله عنه أقسم أن لا يأكل، ثم أقسم الأضياف أن لا يأكلوا، فلما رآهم أقسموا أكل؛ ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا حلف على شيء، ثم رأى غيره خيراً منه، فإنه يُكفر عن يمينه، ويفعل ما هو خير، وهذا قد دلّ عليه حديث صريح عن النّبيّ ﷺ فقال: «**إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيت الذي هو خير وكفّرت عن يميني**» أو قال: «**إلاّ كفّرتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير**».

فإذا حلفت أن لا تُكلم فلانًا مثلاً فالأفضل أن تحنث، وتُكفر عن يمينك وتكلمه، وإذا صار بينك وبينه شيء وقلت: والله ما أطرق عليه البيت، أو لا

أزوره، قلنا له: زره وكفّر عن يمينك، ما في ذلك إثم، وكذلك إذا حلف الإنسان على ولده إن فعل شيئًا أن لا أكلمك، ففعل الولد الشيء، فليكلمه ويُكفر عن يمينه، المهم أنك إذا حلفت على شيء ثم رأيت أن الخير في عدم وفائك باليمين، فلا تفِ بيمينك، وكفّر عنه.

ومن فوائد الحديث أيضًا: أن الإنسان إذا حلف على شخص يريد إكرامه، ثم لم يفعل فإنه لا كفارة عليه؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يكفر عن يمينه، يعني لم ينقل أنه كفّر، هكذا استدلّ بعض العلماء بهذا الحديث، لكنه استدلال ضعيف؛ لأن حديث أبي بكر هذا ليس فيه أنه كفر، ولا أنه لم يكفر.

فهو إذا محتمل أن يكون كفر ولم يذكر، أو محتمل أن يكون لم يكفر، لكن عندنا نصوص بيّنة واضحة على أن من حنث في يمينه، فعليه الكفارة، سواء كان الحنث من فعله أو من فعل الغير، وعلى هذا فنقول: إذا حلفت على شخص إكرامًا له ولم يفعل، فعليك الكفارة، مثال ذلك: وقفت أنت وشخص عند الباب في دعوة دعاكم إليها صاحب البيت ففتح الباب، فقال لك: ادخل. قلت: والله ما أدخل، والله تدخل أنت. قال: لا ادخل، فهنا نقول: إذا دخلت فإنك تفكر عن يمينك وإن كان حلفك من أجل الإكرام، لكنك حنثت، فإذا حنثت في يمينك فعليك الكفارة سواء كان ذلك إكرامًا أو حنثًا أو غير ذلك.

فإذا قال قائل: أبو بكر رضي الله عنه هو الذي حلف أولاً وكان على الضيوف أن يبروا بيمينه، ولكنهم حلفوا، فإذا تحالف اثنان أحدهم يقول كذا، والثاني يقول كذا فأيهما أولى؟ قلنا: الأولى أن يكون الذي حلف الأول هو الذي تبر يمينه؛ لأنه أسبق، وقد أمر النّبيّ ﷺ بإبرار القسم [1]، فعلى هذا فيكون الثاني هو الذي حصل منه نوع الخطأ، فإذا قلت: والله لتفعلن كذا، فقلت أنت: والله لا أفعله،

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٦٦٥٤) ومسلم (٢٠٦٦).

فأيهما الذي تسري يمينه الأول أم الثاني؟ الأول؛ لأنه هو الذي حلف أولاً، لكن أبا بكر رضي الله عنه من تواضعه، أكل من أجل إكرام الضيوف.

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه من الفوائد: أن الإنسان ينبغي له أن يُكرم الضيف، بل إكرام الضيف من تمام الإيمان؛ لقول النّبيّ ﷺ: «**من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه**» (١) وحق الضيافة الواجب يوم وليلة، وثلاثة أيام سنة، وما زاد عن ذلك فهو أمر مباح (٢)، لكن الواجب يوم وليلة، وقد قيد بعض العلماء هذا فيما إذا كان البلد ليس فيها مطاعم، أما إذا كان فيها مطاعم فلا يجب عليك، تقول له: اذهب إلى المطعم، ولكن تعينه بما تيسّر من النقود،والصحيح في هذه المسألة أن الناس يختلفون، من الناس أي من الضيوف من يرى أن ذهابه إلى المطعم فيه إهانة، فهذا لابد أن تضيّفه في بيتك، ومنهم من يكون الأمر عنده سواء، فهنا لا حرج عليك أن تقول: يا أخي هذه دراهم،اذهب إلى المطعم الفلاني، كذلك أيضًا إذا كانت البلد فيها فنادق، فإنه في هذه الحال لو قيل بأنه لا يجب كما قال بعض أهل العلم، لكن الفندق يأتي إليه الشريف والوضيع وكل أحد، لكن لاشك أن الإنسان إذا قصدك وأتى إلى بيتك، وقال لك أنا ضيفك، أن الأولى أن تضيفه، إلاّ أن يكون في ذلك ضرر أو تفويت مصالح أهم، فلكل مقام مقال، والله الموفق.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه وهو وأبوه وأمه صحابة رضي الله عنهم قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) ومسلم (٤٧).

(٢) انظر المسند للإمام أحمد (٢/ ٥١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

فقوله: «**ما ظنّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**» أي: ما ظنّك هل أحد يقدر عليهما أو ينالهما بسوء؟.

هذه القصة كانت حينما هاجر النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة؛ وذلك لأن رسول الله ﷺ لما جهر بالدعوة ودعا الناس وتبعوه وقام المشركون وقاموا ضد دعوته وضايقوه وآذوه بالقول وبالفعل فأذن الله له بالهجرة من مكة إلى المدينة، فهاجر ﷺ على رأس ثلاث عشرة سنة من مبعثه ﷺ، فهاجر من مكة إلى المدينة، ولم يصحبه إلاّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والدليل والخادم.

ولما سمع المشركون بخروجه ﷺ من مكة جعلوا لمن جاء به مئتي بعير، ولمن جاء بابي بكر مئة بعير، وصار الناس يطلبون الرجلين في الجبال، وفي الأودية، وفي المغارات، وفي كل مكان، حتى وقفوا على الغار الذي فيه النبيّ ﷺ وأبو بكر، وهو غار ثور الذي اختفيا فيه ثلاث ليال حتى يبرد عنهما الطلب، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. لأننا في الغار تحته، فقال ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» وفي كتاب الله تعالى: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]، فيكون قال الأمرين كليهما.

فقوله: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» هل أحد يقدر عليهما، أو غير ذلك؟.

والجواب: لا أحد يقدر؛ لأنه لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولا مُذل لمن أعز، ولا معز لمن أذل ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾**﴾ [آل عمران: ٢٦].

وفي هذه القصة: دليل على كمال توكل النبيّ ﷺ على ربه، وأنه معتمد عليه ومفوض إليه أمره، وهذا هو الشاهد من وضع هذا الحديث في باب اليقين والتوكل.

وفيه: دليل على أن قصة نسج العنكبوت غير صحيحة فما يوجد في بعض

التواريخ أن العنكبوت نسجت على باب الغار، وأنه نبت فيه شجرة وأنه كان على غصنها حمامة، وأن المشركين لما جاءوا إلى الغار وقالوا: هذا ليس فيه أحد؛ فهذه الحمامة على غصن شجرة على بابه، وهذه العنكبوت قد عششت على بابه[1]، كل هذا لا صحة له؛ لأن الذي منع المشركين من رؤية النّبيّ ﷺ وصاحبه أبي بكر ليست أموراً حسية تكون لهما ولغيرهما، بل هي أمور معنوية وآية من آيات الله عز وجل.

حجب الله أبصار المشركين عن رؤية الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر.

والله الموفق.

(١) انظر المسند (١/٣٤٨) وهذه كلها روايات ضعيفة لا تصح، وإني أنصح الدعاة والخطباء الذين يقولون مثل هذه القصص أن ينتهوا وفي الصحيح عن مثل هذا القصص غنية.

فضل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بعد أبي بكر الفاروق، والفاروق على وزن فاعول، وهو من صيغ المبالغة مأخوذ من الفرق، ولقب بذلك لأن الله تعالى فرّق به بين الحق والباطل، فإن الله سبحانه وتعالى أعز الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وفرّق الله تعالى به بين الحق والباطل في خلافته وقبل خلافته، وجعل الله الحق على لسانه، وقال فيه النّبيّ ﷺ: «**إن يكن فيكم محدثون** (أي ملهمون بالوحي) **فعمر**».

وكان رضي الله عنه موفقًا للصواب حتى إنه يأتي الوحي أحيانًا موافقًا لقوله، واقتراحه، فهو رضي الله عنه فاروق فرّق الله به بين الحق والباطل، وكان رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه في الفضيلة، وبعد أبي بكر في الخلافة.

وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن هذين الرجلين أبا بكر وعمر هما أفضل الأمة [1]، وأن أبا بكر أفضل من عمر، وعمر رضي الله عنه يلي أبا بكر في الخلافة بتعيين من أبي بكر فإنه عينه وتحمل أبو بكر رضي الله عنه عنه المسئولية في هذه الأمة حيًا وميتًا، لكنه رضي الله عنه أدى الأمانة ووفق فصار من فضائله على الأمة أن استخلف عمر بن الخطاب.

ولا يخفى على أحدٍ منصف فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا قرأ سيرته؛ فعمر رضي الله عنه تولى الخلافة بعد أبي بكر وقام بأعباء الخلافة خير قيام وكثرت الفتوحات على يده وصار له من الهيبة والعظمة ما خذل الله به أعداءه ومع ذلك كان متواضعًا يقبل الحق من كل من جاء به، وكان لا يأخذ من بيت المال إلا مثل ما يأخذه أي فرد من الناس، بل ربما أقل، ولا يعطي أحدًا من أولاده إلاّ مثل ما يعطي واحدًا من الناس، بل ربما نقصهم، ولم يتخذ رضي الله عنه لنفسه بوابًا ولا قصرًا، بل كان ينام في المسجد فيجمع الحصى، ثم يجعله وسادة له وينام عليه، وكان

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٤٠٥، ٤٠٦) (١٣/٢٣٧).

عليه رداء مرقع، وسيرته عجيبة لا تكاد تُصدق بما ينقل عنه؛ ولهذا أعز الله به الإسلام بعد كونه خليفة، وقبل كونه خليفة وكانت له هيبة عظيمة.

يُذكر أن رجلاً من اليهود في الشام كان منزله بجانب بيت المال، فعرض عليه معاوية أن يشتريه منه، قال: بعْ على البيت. من أجل أن يدخله بيت المال، فأبى اليهودي، فأعطاه ثمنًا أكثر من ثمنه، معاوية رضي الله عنه رأى أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، فادخله في بيت المال، وقال: خذْ إذا شئت القيمة أعطيناك، ولكن اليهودي أبى، فقدم المدينة، فجاء إلى عمر، يبحث عن عمر، فقيل له: تجده الآن في المسجد، فذهب إلى المسجد فوجد رجلاً كأنه فقير، رداء مرقع، نائم على بطحاء، فصدق أو كذب هل هذا الخليفة الذي يكون معاوية أميرًا له، أميرًا من أمرائه، وكان معاوية رضي الله عنه باعتبار أنه في الشام وأنهم يُقدسون ملوكهم وأنهم يعظمونهم، ويجعلون لهم القصور قد اتخذ لنفسه مثل هذا لا حبًا في الدنيا، ولكن إقامة للسلطة مقام السلطة الأولى، حتى يهابها الناس؛ لأن معاوية لو فعل مثل ما فعل عمر في المدينة وهو في الشام لم يبال الناس به.

فجاء إلى عمر فقصّ عليه القصة، فيُقال: إنه أخذ عظمًا من الأرض وكتب فيه ليس كسرى باعدل مني. ووضع خطًا وفوقه خط آخر كالصليب، وقال لليهودي: اذهب، أعطه لمعاوية، فلما جاء به إلى معاوية قطعًا بينه وبين عمر إشارة وهو ما يسمى في العرف الحاضر «شفرة» لما رأي هذا العظم، يُقال: إنه وضعه على رأسه ثم قال لليهودي: ماذا تريد؟ أتُريد أن أبني لك بيتك وأعيده من جديد أم تريد أن أعطيك عشرة أمثاله أم ماذا تريد؟ قال: وهكذا يكون خلفاؤكم، وهكذا يكون أمراؤكم مع خلفاؤكم؟ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله، وبيتي صدقة للمسلمين.

سبحان الله، انظر كيف يجعل العدل الناس يستجيبون، ولو كانوا كفارًا، والظلم والاستئثار يجعل الناس لا يستجيبون ولو كانوا مسلمين.

فالحاصل: أن عمر بن الخطاب ﷺ مع كونه ذا سلطة عظيمة، وهيبة عظيمة إذا جاءه أحد وجده كأنه إنسان عادي، والقصة المشهورة - وإن كان الحديث فيه شيء من النظر - لما خطب الناس حين تغالوا في المهور، وقال: لا يزيد أحد على مهر النبيّ ﷺ لأزواجه أو بناته إلا جعلت الزائد في بيت المال، فقامت امرأة، فقالت: مهلاً يا أمير المؤمنين ليس ذلك إليك، إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠].

فأقرّ الله تعالى إيتاء القنطار للزوج، والقنطار: ألف مثقال للذهب، وقيل: إنه ملء جلد ثور صغير من الذهب. كم يأتي ملء جلد الثور؟ آلاف.

فقال: امرأة أفقه من عمر، ثم ترك الناس، فالحديث هذا في صحته نظر لكنه مشهور عند الناس.

وعمر ﷺ يكون أكثر من ذلك تواضعًا، وعظَ الناس يومًا من الأيام، فقام إليه سلمان الفارسيّ، وقال: يا أمير المؤمنين، كيف تعطي عبد الله بن عمر ثوبين، والناس لم تعطهم إلاّ على ثوب واحد من بيت المال؟ فقال له: قمْ يا عبد الله، يعني رد عليه، فقام فردّ عليه، فقال: إن الثوب الثاني ثوبُ عمر أعطاني إياه، وليس زائدًا على ما يعطي المسلمين.

وكان ﷺ إذا أمر الناس بشيء أو نهاهم عن شيء جمع أهله، وقال لهم: إن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، والطيور تنظر إلى اللحم نظر شره، تُريد أن تبتلعهم، وإني قد أمرتُ بكذا أو نهيتُ عن كذا، فلا أجد أحدكم مخالفًا إلاّ أضعفت عليه العقوبة.

كل هذا من باب العدل والتخويف، وإلا كان العدل أيضًا ألا يضاعف العقوبة عليهم، لكنه ﷺ له غور فوق الفقه، قال: إن أقرباء السلطان يُخالفون بسلطة قربهم منه فيتوصلون إلى المخالفة بقربهم من وليّ الأمر، فرأى ﷺ أن هذه نوع مخالفة مع المخالفة الأصلية، فيجمع عليهم بين عقوبتين.

ومآثره ﷺ كثيرة وكان آخر أمره أنه سأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقه الشهادة في سبيله، والموت في بلد رسوله ﷺ، فكان الناس يتعجبون، المدينة بلد إسلام ليس فيها قتال، كيف يجتمع أن يكون شهيداً في سبيل الله ويموت في مدينة رسول الله ﷺ، فاستجاب الله دعوته، وقُتل شهيداً في بلد رسول الله ﷺ، وهو لم يُقتل لعداءٍ شخصيّ، لكنه عداء ديني؛ لأن القاتل له أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة.

وكان عمر ﷺ ينهى أن تكثر العلوج (يعني هؤلاء الأرقاء من الفرس وغيرهم) في المدينة، ولكن كان أمر الله مفعولاً، هذا الخبيث لما قتل عمر ﷺ بخنجر له وجهان والإمساك بالوسط، وكان قد سقى كل جانب منه السمّ فلما طعن عمر وهو يصلي بالناس الفجر، قال: أكلني الكلب، ففزع الناس، فلحقوا بهذا الرجل الخبيث الهارب، فقتل – أظن – ثلاثة عشر نفرًا، فلما رأى أنه قد أُدرك وألقى عليه أحد الصحابة بساطًا غمه فيه لما رأى أنه قد أدرك قتل نفسه.

فالحمد لله رب العالمين أنه قتل نفسه على هذا الوجه، وهو لم يسجد لله سجدة، فكان والعياذ بالله آخر أمره أن قتل نفسه، والذي يظهر لنا أنه قتل نفسه على الكفر.

وعن نافع أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين، فلمَ نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه [1].

قال المؤلف – رحمه الله – في باب الورع وترك الشبهات فيما نقله عن نافع عن عبد الله بن عمر ﷺ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرض للناس أعطياتهم من بيت المال، فجعل للمهاجرين أربعة آلاف، وجعل لابنه عبد الله ثلاثة آلاف وخمسمائة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١٢).

وابنه عبد الله مهاجر، فنقصه عن المهاجرين خمسمائة من أربعة آلاف، فقيل له: إنه من المهاجرين، فلماذا نقصته؟ قال: «إنه هاجر به أبوه ولم يُهاجر بنفسه، وليس من هاجر به أبوه كمن هاجر بنفسه» وهذا يدل دلالة عظيمة على شدة ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ.

وهكذا يجب على من تولى شيئًا من أمور المسلمين ألاّ يحابي قريبًا لقرابته، ولا غنيًا لغناه، ولا فقيرًا لفقره، بل يُنزل كل إنسان منزلته، فهذا من الورع والعدل، ولم يقل عبد الله بن عمر: يا أبت، أنا مهاجر ولو شئت لبقيت في مكة، بل وافق على ما فرضه له أبوه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر**»(١).

قال النّبيّ ﷺ: «**كان فيما كان قبلكم محدثون**» يعني: ملهمون للصواب، يقولون قولاً فيكون موافقًا للحق، وهذا من كرامة الله للعبد أن الإنسان إذا قال قولاً، أو أفتى بفتوى، أو حكم بحكم تبين له بعد ذلك أنه مطابق للحق، فعمر ﷺ من أشد الناس توفيقًا للحق – كما سيأتي إن شاء الله تعالى – .

قال النّبيّ ﷺ: «**فإن يكن فيكم محدثون فعمر**» يعني: إن كان فيكم محدثون فعمر، ويحتمل قوله: «**إن يكن فيكم**» إنه خطاب لقوم مجتمعين ليس فيهم أبو بكر، ويحتمل أنه خطاب إلى الأمة كلها، ومن بينهم أبو بكر ﷺ، فإن كان الأول فلا إشكال، وإن كان الثاني فقد يقول قائل: كيف يكون عمر ملهماً وأبو بكر ليس كذلك، فيُقال: إن أبا بكر ﷺ يوفّق للصواب بدون إلهام، بمعنى أنه ﷺ من ذات نفسه بتوفيق الله عز وجل يوفّق للصواب ويدل على هذا عدة مسائل:

الأولى – في صلح الحديبية لما اشترطت قريش على النّبيّ ﷺ شروطًا يبدو

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) ومسلم (٢٣٩٨).

أنها ثقيلة عظيمة، عمل عمر رضي الله عنه على إبطالها، وجاء إلى النّبيّ ﷺ يراجعه في ذلك، ويقول: كيف نعطي الدنية في ديننا؟ كيف نشترط على أنفسنا أن من جاءنا منهم مسلمًا رددناه إليهم، ومن جاءهم منّا لا يردونه؟ هذا ثقيل، ولكن النّبيّ ﷺ قال له: «**إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري**».

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه يُريد أن يستنجد به في إقناع الرسول ﷺ، فكلّم أبا بكر، فقال له أبو بكر مثل قول الرسول ﷺ سواء بسواء، قال إنه رسول الله وليس بعاصيه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه [١]. يعني لا يكن عندك شك في أمره. فهذه واحدة، إذن من الموفق إلى الصواب في هذا؟ أبو بكر لاشك.

الثانية - كذلك أيضًا في موت الرسول ﷺ، لما شاع الخبر في المدينة أن النّبيّ ﷺ قد مات، قام عمر في الناس، وقال: إنه لم يمت، وإنما صعق، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي أقوام وأرجلهم من خلاف، وأنكر أن يكون قد مات، وكان أبو بكر قد خرج في ذلك اليوم إلى بستان له خارج المدينة، فلما رجع وجد النّبيّ ﷺ قد مات حقًا، فخرج إلى المسجد وصعد المنبر، وقال كلماته المشهورة التي تكتب بأغلى من ماء الذهب، قال: «أما بعد، أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت» ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾**﴾ [الزمر: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما إن تلاها أبو بكر حتى عقرت، فما تحملتني رجلاي[٢]. فالإنسان إذا خاف واشتد به الشيء لا يستطيع أن يقف، هذه الثانية.

الثالثة - إنه لما توفي رسول الله ﷺ ارتدّ من ارتد من العرب، كفروا والعياذ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (١٧٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٨).

بالله، وكان النبيّ ﷺ قد جهز جيشًا أميره أسامة بن زيد؛ ليقاتل أدنى أهل الشام، والجيش كان ظاهر المدينة، ولكن لم يسيروا بعد، ولما ارتدّ العرب جاء عمر لأبي بكر، وقال: لا تُرسل الجيش، نحن في حاجة، فقال له أبو بكر: والله لا أحل راية عقدها رسول لله ﷺ، وسيرهم أبو بكر، فكان الصواب مع أبي بكر رضي الله عنه لأن الناس لما سمعوا أن أهل المدينة أرسلوا الجيوش إلى أطراف الشام، قالوا: هؤلاء عندهم قوة ولا يمكن أن نرتد، فامتنع كثير من الناس عن الردة، وبقوا في الإسلام، المهم أن أبا بكر رضي الله عنه أبلغ من عمر في إصابة الصواب، لاسيما في المواضع الضنكة الضيقة، وعلى كل حال فكلا الرجلين رضي الله عنهما كلاهما موفق إلى الصواب.

جمعنا الله وإياكم بهما في الجنة، وكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا بالله وأكثر طاعة لله وفقه الله تعالى إلى الحق بقدر ما معه من الإيمان والعلم والعمل الصالح، تجده مثلاً يعمل عملاً يظنه صوابًا أو سأل، وجد أن عمر مطابق لكتاب والسنة، فإذا رجع أو سأل، وجد أن عمله مطابق للكتاب والسنة، وهذه من الكرامات، فعمر رضي الله عنه قال فيه الرسول ﷺ: «**إن يكن فيكم محدثون فإنه عمر**».

فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان: هو الثالث في الخلافة والفضيلة، وإنما قال: فاترك المرا؛ لكثرة الجدال فيه، وفي عليّ بن أبي طالب أيهما أفضل؟ حتى إن بعض العلماء قالوا: عليّ بن أبي طالب أفضل من عثمان، فجعلوه في المرتبة الثالثة في الفضيلة وعثمان في المرتبة الرابعة. ومنهم من قال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم سكت. ومنهم من أخذ بما سار عليه المؤلف، وهو أن الأفضل عثمان ثم عليّ. قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: هذا هو الذي استقرّ عليه أمر أهل السنة والجماعة أن ترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة (١).

عثمان رضي الله عنه تولى الخلافة لا بنص من عمر وتعيين ولا باجتهاد من الرعية، فتولّيه للخلافة أمر غريب لم يكن معروفًا؛ لأن عمر لما طُعن وقيل له: استخلف على الأمة قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لم أستخلف فقد ترك من هو خير مني (يعني رسول الله ﷺ) وقال: لو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته؛ لأن النّبيّ ﷺ قال: «**إنه أمين هذه الأمة**». سبحان الله لا ينظرون إلى شرف قبيلة ولا إلى سيادة ذي قوم، ينظرون إلى المعاني الشرعية.

فقد قال النّبيّ: «**أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح**»(٢) قال عمر لو كان حياً لاستخلفته (٣) ولكنه مات قبل عمر.

ثم جعل الأمر شورى بين الستة الذين توفي عنهم النّبيّ ﷺ وهو عنهم راضٍ، فلما توفي جلس هؤلاء للتشاور، واستقر الأمر على عثمان، وكان أكثر أهل المدينة يختارون عثمان، فبويع عثمان بالخلافة مبايعةً شرعية، بايعه عليها

---

(١) العقيدة الواسطية (ص٤٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٣٧٤٤) ومسلم (٢٤١٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/١٨).

عليّ بن أبي طالب وبقية أصحاب الشورى وغيرهم، وأجمعت الأمة على ذلك، وصار الخليفة الثالث بإجماع المسلمين (١).

ولهذا قال الإمام أحمد: من طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله (٢).

أما الرافضة فقد طعنت في خلافة الجميع إلاّ عليّ بن أبي طالب، فضلّت بهذا عن الأمة وعن الحق، بل وبما مشى عليه عليّ بن أبي طالب ﷺ فإنه بايع أبا بكر وعمر وعثمان اختياراً لا اضطراراً، والعجب أن غلاة الرافضة قالوا: إن عليًا فاسق؛ لماذا يرضى بالظلم؟!!! فكونه رضي بالظلم وبايع هذه مداهنة والمداهنة في الحق ضلال وفسق، فاتعجب كيف وصل بهم الحال إلى هذا السفه!!.

والمنصف من يعرف منهم أنه على ضلال، هم يقولون: نحن شيعة، وهؤلاء أهل السنة، وأيهما أولى بالحق أهل السنة أو الشيعة المتعصبين لأشخاص معينين؟ الكلُّ يعرف أن أهل السُّنّة هم الذين على الحق؛ لأنهم على سنة وكونهم يقولون: هؤلاء أهل السنة ونحن شيعة اعتراف منهم بأنهم ليسوا على سنة، وإذا كان كذلك فيُقال: اتقوا الله ارجعوا إلى السنّة، مادمتم تعترفون بأن هؤلاء أهل سنة، وأنتم شيعة، ثم نقول: من أحق الناس تشيعًا لآل البيت؟ أهل السنة نحن نحب آل البيت المؤمنين منهم؛ لكونهم مؤمنين، ولكونهم من قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام، ونفضلهم على غيرهم بهذا المعنى، لكن لا نعطيهم الفضل المطلق، بل ننزلهم منزلتهم، وهم أعني آل البيت يرضون بهذا غاية الرضا.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو إمام أهل البيت كان ﷺ يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» (٣) وأحيانًا ثم عثمان، وأحيانًا يسكت.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٣٢٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٥٣)، (٤/٤٣٩، ٤٧٩).

(٣) صحيح اخرجه أحمد (١/١٠٦) وصححه الألباني في السنة لابن ابي عاصم (ص٥٥٦ - ٥٥٨، ١٢٠١، ١٢٠٨).

فعلى هذا نقول: إن عثمان ﷺ يلي عمر بن الخطاب في الفضيلة، فهو الثالث في هذه الأمة وهو الثالث في الخلافة من هذه الأمة، ومن أنكر ذلك بالنسبة للخلافة فيقول الإمام أحمد: إنه أضل من حمار أهله، وقال: إنه أضل من الحمار؛ لأن الحمار من أبلد الحيوانات؛ ولهذا مثل الله اليهود بالحمار، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥]، قال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ إذا حُملت على الحمار المغني والمجموع شرح المهذب، والإنصاف وتفسير ابن كثير، وفتح الباري.. ثم رجعت للحمار وقال ماذا قال في فتح الباري ماذا يقول؟ يوفيك نهيقًا، فعلى كل حال الحمار أبلد الحيوانات وأدل الحيوانات بالنسبة لمكان مبيته.

وسألتُ الشيخ عبد الرزاق العفيفي - رحمه الله - قال: إنما كان الحمار أدل ما يكون إلى مأواه ومبيته لأنه بليد لا يشغل مخه شيء من التفكير فيكون معتمداً على المظاهر الخارجية؛ لأن ذهنه لا يفكر في مخه،وهذه مناسبة غريبة؛ لذلك تجد الإنسان الذي معه سائق لا يذهب بالسيارة إلاّ بسائق ولا يجيء إلا بسائق، لا يعرف الأسواق،ولا يعرف البيوت، لو يتردد عليها عشر مرات، والسائق يعرفها من أول مرة؛ لأنه قد وضع ذهنه لهذا الشيء، الحمار ليس عنده إلاّ المأوى والمبيت والأكل والشرب وأما غيره فليس عنده تفكير.

فالحاصل: أن نقول: إن الإمام أحمد يقول: من طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضلّ من حمار أهله [١]، قال ذلك لماذا؟ لأن أبلد ما يكون من الحيوانات الحمار.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٥٣) (٤/ ٤٣٩، ٤٧٩).

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

هو ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم وكنيته أبو الحسن وأبو تراب، ولد قبل بعثة النّبيّ ﷺ بعشر سنين، وتربّى في حجر النّبيّ ﷺ وشهد معه المشاهد كلها، وكان صاحب اللواء في معظمها، ولم يتخلف إلاّ في غزوة تبوك، خلفه النّبيّ ﷺ في أهله، وقال له: **«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي»** (١).

نُقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره، وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة وحاولوا إخفاء مناقبه، والروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبه وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه (٢)، بل هو عند التأمل من المثالب، اشتهر رضي الله عنه بالشجاعة والذكاء مع العلم، حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن. ومن أمثال النحويين: «قضية ولا أبا حسن لها».

وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه كان يقول: «سلوني، سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار» (٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا جاءنا الثبت عن عليّ لم نعدل به» وروي عنه أنه قال: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب».

كان أحد أهل الشورى الذين رشحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلاّ بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه عليّ والناس، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قُتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٦، ٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) انظر: ما رواه العقيلي في الضعفاء (٤/٢١٥).

(٣) تهذيب الكمال (٢٠/٤٨٧).

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين عليّ بن أبي طالب؟**» فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**» فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال عليّ ﷺ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم**»[1].

ففي هذا الحديث أن النّبيّ ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وهذا يتضمن بشرى عامة وبشرى خاصة، أما العامة فهي قوله: «**يفتح الله على يديه**» وأما الخاصة فهي قوله: «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**».

وخيبر مزارع وحصون لليهود كانت نحو مئة ميل في الشمال الغربي من المدينة، سكنها اليهود، كما سكن طائفة منهم المدينة نفسها؛ لأن اليهود يقرأون في التوراة أنه سيُبعث نبيّ، وسيكون مهاجره إلى المدينة،و تُسمى في العهد القديم يثرب، لكنه نهى عن تسميتها يثرب، وأنه سيهاجر إلى المدينة وسيقاتل وسينتصر على أعدائه، فعلموا أن هذا حق وذهبوا إلى المدينة وسكنوها، وسكنوا خيبر، وكانوا يظنون أن هذا النبي سيكون من بني إسرائيل، فلما بُعث من بني إسماعيل من العرب حسدوهم، وكفروا به - والعياذ بالله - بعد أن كانوا يعرفونه، كما يعرفون أبناءهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وقالوا: ليس هذا هو النّبيّ الذي بُشرنا به.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦).

وحصل منهم ما حصل من العهد مع النبيّ ﷺ، ثم الخيانة، وكانوا في المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكلهم عاهد النّبيّ ﷺ، ولكنهم نقضوا العهد كلهم. فهزمهم الله - والحمد لله - على يد النّبيّ ﷺ، وكان آخرهم بني قريظة الذين حكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، بأن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى نساءهم وذريتهم، وتغنم أموالهم، وكانوا سبعمائة، فأمر النّبيّ ﷺ بقتلهم فحصدوهم عن آخرهم (١).

وهكذا اليهود أهل غدر وخيانة ونقض للعهود منذ بعث فيهم موسى عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، هم أغدر الناس بالعهد، وأخونهم للأمانة؛ ولذلك لا يوثق منهم أبداً، لا صرفًا ولا عدلاً، ومن وثق بهم أو وثق منهم فإنه في الحقيقة لم يعرف سيرتهم منذ عهد قديم.

المهم أن خيبر كانت حصون ومزارع لهم وغزاهم النبيّ ﷺ وفتح الله على يديه، فقال النّبي ﷺ: «**لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وهذان منقبتان عظيمتان:

الأولى - أن يفتح الله على يديه؛ لأن من فتح الله على يديه نال خيراً كثيراً، فإنه إن هدى الله به رجلاً واحداً، كان خيراً له من حمر النعم، وهي الإبل الحمر، وإنما خص الإبل الحمر؛ لأنها أغلى الأموال عند العرب.

الثانية - يحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله، وفي ذلك فضل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأن الناس في تلك الليلة جعلوا يدوكون، يعني يخوضون ويتكلمون: من هذا الرجل؟ فلما أصبح النّبيّ ﷺ قال: «**أين عليّ بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يشتكي عينيه، يعني أن عينيه توجعه ويشتكيها، فدعا به فأتي به، فبصق في عينيه، ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع، وهذه من آيات الله عز وجل، فليس هناك قطرة ولا كيّ، وإنما هو ريق النّبيّ ﷺ ودعاؤه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣) مسلم (١٧٦٨).

وفي هذا الحديث: دليل على أنه يجوز للناس أن يتحدثوا في الأمر ليتفرسوا فيمن يصيبه؛ لأن الصحابة صاروا في تلك الليلة يدوكون ليلتهم: من يحصل هذا؟ وكل واحد يقول: لعله أنا.

وفيه أيضًا: دليل على أن الإنسان قد يهبه الله تعالى من الفضائل ما لم يخطر له على بال، فعليّ ليس حاضرًا، وربما لا يكون عنده علم بأصل المسألة، ومع ذلك جعل الله له هذه المنقبة، ففي هذا دليل على أن الإنسان قد يحرم الشيء مع ترقبه له، وقد يعطى الشيء مع عدم خطورته على باله.

«فأعطاه الراية» الراية يعني العَلَم، والعلم الذي يكون علمًا على القوم في حال الجهاد؛ لأن الناس في الجهاد يقسمون، هؤلاء إلى جانب، وهؤلاء إلى جانب، وهذه القبيلة وهذه القبيلة أو هذا الجنس من الناس كالمهاجرين مثلاً والأنصار، كلٌّ له راية، أي علم يدل عليه.

فقال عليّ رضي الله عنه: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، يعني أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، أم ماذا؟ فقال له النّبيّ ﷺ: «**انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم**»، ولم يقل له: قاتلهم حتى يكونوا مثلنا؛ وذلك لأن الكفار لا يقاتلون على الإسلام ويرغمون عليه، وإنما يقاتلون ليذلوا لأحكام الإسلام، فإن أسلموا فلهم وإن كفروا فعليهم ولكن يذلوا للإسلام فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون أو يدخلون في الإسلام.

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله -: هل هذا خاص بأهل الكتاب أي مقاتلتهم حتى يعطوا الجزية، أو أنه عام لجميع الكفار؟ فأكثر العلماء يقولون: إن الذي يُقاتل حتى يعطي الجزية، أو يسلم هم أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وأما غيرهم فيقاتلون حتى يسلموا، ولا يقبل منهم إلاّ الإسلام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾**﴾

[التوبة: ٢٩].

فقال: قاتلوهم ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ والصحيح أنه عام، ودليل ذلك أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر، وهم ليسوا أهل كتاب، كما أخرجه البخاري[١]، ودليل آخر حديث بريدة بن الحصيب الذي أخرجه مسلم[٢]، أن النّبيّ ﷺ كان إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة أوصاه ومن معه من المسلمين خيرًا، وذكر في الحديث أنه يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا يقاتلهم. والصحيح أن هذا عام؛ ولذلك لم يقل النّبيّ ﷺ لعليّ حين سأله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، نعم قاتلهم حتى يكونوا مثلنا، وإنما أرشده أن يفعل ما أمره به، وأن يمشي على رسله، حتى ينزل بساحتهم.

قوله: «**على رسلك**» أي: لا تمشي عجلاً، فتتعب أنت، وتتعب الجيش، ويتعب من معك، ولكن على رسلك.

«**حتى تنزل بساحتهم**» أي: بجانبهم، «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» وقوله ﷺ: «**ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه**» فأمره ﷺ بأمرين:

الأمر الأول - الدعوة إلى الإسلام بأن يقول لهم: أسلموا، إذا كانوا يعرفون معنى الإسلام، ويكفي ذلك، وإن كانوا لا يعرفونه فإنه يُبيّن لهم أن الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت.

الأمر الثاني - قال: «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**» وهو السمع والطاعة لأوامر الله ورسوله؛ لأجل أن يكون الداخل في الإسلام داخلاً على بصيرة؛ لأن بعض الناس يدخل في الإسلام على أنه دين، ولكن لا يدري ما هو، ثم إذا بيّنت له الشرائع ارتدّ والعياذ بالله، فصار كفره الثاني أعظم من كفره الأول؛ لأن الردة لا يقر عليها صاحبها، بل يقال له: إما أن ترجع لما خرجت منه، وإما أن نقتلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وأبو داود (٢٦١٢)، والترمذي (١٦١٧، ١٤٠٨)، وابن ماجه (٢٨٥٨).

ولهذا ينبغي لنا في هذا العصر لما كثر الكفار بيننا من نصارى وبوذيين ومشركين وغيرهم، إذا دعوناهم إلى الإسلام أن نبين لهم الإسلام أولاً، ونشرحه شرحًا يتبيّن فيه الأمر، حتى يدخلوا على بصيرة، لا نكتفي بقولنا: أسلموا فقط؛ لأنهم لا يعرفون ما يجب عليهم من حق الله تعالى في الإسلام، فإذا دخلوا على بصيرة صار لنا العذر فيما بعد، إذا ارتدوا أن يطلب منهم الرجوع إلى الإسلام أو نقتلهم، أما إن بيّن لهم إجمالاً هكذا فإنها دعوة قاصرة، والدليل على هذا حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي نشرحه.

وفي هذا الحديث في قوله ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»، يهديه: أي يوفقه بسببك إلى الإسلام فإنه خير لك من حمر النعم، يعني من الإبل الحمر؛ وذلك لأن الإبل الحمر عند العرب، كانت من أنفس الأموال، إن لم تكن أنفس الأموال، ففعل رضي الله عنه ونزل بساحتهم، ودعاهم إلى الإسلام ولكنهم لم يسلموا.

ثم في النهاية كانت الغلبة - ولله الحمد - للمسلمين، ففتح الله على يدي عليّ بن أبي طالب، والقصة مشهورة في كتب المغازي والسير، ولكن الشاهد من هذا الحديث، أنه أمره أن يدعوهم إلى الإسلام، وأن يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيهم.

وفي هذا الحديث من الفوائد: ظهور آية من آيات النّبيّ ﷺ وهي أنه لما بصق في عيني عليّ بن أبي طالب برئ حتى كأن لم يكن به وجع، وفيه أيضًا آية أخرى، وهو قوله: يفتح الله على يديه، هو خبر غيبي، ومع ذلك فتح الله على يديه.

وفيه أيضًا من الفوائد: أنه ينبغي نصب الرايات في الجهاد، وهي الأعلام، وأن يجعل لكل قوم راية معينة يعرفون بها كما سبقت الإشارة إليه.

وفيه أيضًا من الفوائد: أنه ينبغي تحري الإنسان للخير والسبق إليه؛ لأن

الصحابة ﷺ جعلوا في تلك الليلة يدوكون ليلتهم، يعني يدوكون في ليلتهم، فهي منصوبة على الظرفية، يعني أنهم يبحثون من يكون؟

وفيه أيضًا: أن الإنسان قد يعطى الشيء من غير أن يخطر له على بال، وأنه يحرم من كان متوقعًا أن يناله هذا الشيء؛ لأن عليّ بن أبي طالب كان مريضًا في عينيه، ولا أظن أنه يخطر بباله أن رسول الله ﷺ سيعطيه الراية، ومع ذلك أدركها، ففضل الله تعالى يُؤتيه من يشاء. والله الموفق.

البراءة من طريق الروافض والنواصب:

الروافض: طائفة غلاة في عليّ بن أبي طالب وآل البيت، وهم من أضل أهل البدع، وأشدهم كرهًا للصحابة ﷺ، ومن أراد معرفة ما هم عليه من الضلال؛ فليقرأ في كتبهم وفي كتب من رد عليهم، وسموا روافض لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عندما سألوه عن أبي بكر وعمر، فأثنى عليهما وقال: هما وزيرا جدي.

أما النواصب: فهم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم ويسبونهم؛ فهم على النقيض من الروافض، فالروافض اعتدوا على الصحابة بالقلوب والألسن.

ففي القلوب يبغضون الصحابة ويكرهونهم، إلاّ من جعلوهم وسيلة لنيل مآربهم وغلوا فيهم وهم آل البيت.

- وفي الألسن يسبونهم فيلعنونهم ويقولون: إنهم ظلمة! ويقولون: إنهم ارتدوا بعد النّبيّ ﷺ إلاّ قليلاً، إلى غير ذلك من الأشياء المعروفة في كتبهم، وفي الحقيقة أن سب الصحابة ﷺ ليس جرحًا في الصحابة ﷺ فقط، بل هو قدح في الصحابة، وفي النّبيّ ﷺ وفي شريعة الله وفي ذات الله عز وجل.

أما كونه قدحًا في الصحابة فواضح.

وأما كونه قدحًا في رسول الله ﷺ، فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدح في رسول الله ﷺ من وجه آخر، وهو تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم.

وأما كونه قدحًا في شريعة الله؛ فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا سقطت عدالتهم لم يبقَ ثقة فيما نقلوه من الشريعة.

وأما كونه قدحًا في الله سبحانه، فحيث بعث نبيه ﷺ في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته!!.

فانظر ماذا يترتب من الطوام الكبرى على سب الصحابة رضي الله عنهم.

ونحن نتبرأ من طريقة هؤلاء الروافض الذين يسبون الصحابة ويبغضونهم، ونعتقد أن محبتهم فرض، وأن الكف عن مساوئهم فرض، وقلوبنا - ولله الحمد- مملوءة من محبتهم لما كانوا عليه من الإيمان والتقوى ونشر العلم ونصرة النّبيّ ﷺ.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من طريقة النواصب، وهؤلاء على عكس الروافض، الذين يغلون في آل البيت حتى يخرجوهم عن طور البشرية إلى طور العصمة والولاية.

أما النواصب: فقابلوا البدعة ببدعة، فلما رأوا الرافضة يغلون في آل البيت، قالوا: إذًا نُبغض آل البيت ونسبهم مقابلة لهؤلاء في الغلو في محبتهم، والثناء عليهم، ودائمًا يكون الوسط هو خير الأمور؛ ومقابلة البدعة ببدعة لا تزيد البدعة إلاّ قوة.

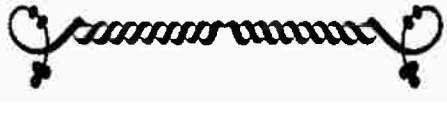

فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُحب العبد التقي الغني الخفي**»(١).

اعلم أن الأفضل هو المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، هذا أفضل من المؤمن الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ولكن أحيانًا تحصل أمور تكون العزلة فيها خيرًا من الاختلاط بالناس، من ذلك إذا خاف الإنسان على نفسه فتنة، مثل أن يكون في بلد يطالب فيها بأن ينحرف عن دينه، أو يدعو إلى بدعة أو يرى الفسوق الكثير فيها، أو يخشى على نفسه من الفواحش، فهنا تكون العزلة خيرًا له.

ولهذا أُمر الإنسان أن يُهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد الفسوق إلى بلد الاستقامة، فكذلك إذا تغيّر الناس والزمان، ولهذا صحّ عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**».

فهذا هو التقسيم، تكون العزلة هو الخير إن كان في الاختلاط شر، وفتنة في الدين، وإلاّ فالأفضل أن الاختلاط هي الخير، يختلط الإنسان مع الناس فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يدعو إلى حق، يبيّن السنة للناس، فهذا خير.

لكن إذا عجز عن الصبر وكثرت الفتن، فالعزلة خير ولو أن يعبد الله عز وجل على رأس جبل أو في قعر واد، وبيّن النّبيّ ﷺ صفة الرجل الذي يحبه الله عز وجل فقال: «**إن الله يُحب العبد التقي الغني الخفي**»، التقي: الذي يتقي الله عز وجل، فيقوم بأوامره، ويجتنب نواهيه، يقوم بأوامره، من فعل الصلاة وأدائها في جماعة، يقوم بأوامره من أداء الزكاة وإعطائها مستحقيها، يصوم رمضان، يحج

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥) وأحمد (١/١٦٨).

البيت، يبر والديه، يصل أرحامه، يُحسن إلى جيرانه، يُحسن إلى اليتامى... إلى غير ذلك من أنواع التقى والبر وأبواب الخير.

الغني: الذي استغنى بنفسه عن الناس، غنيٌّ بالله عز وجل عمن سواه، لا يسأل الناس شيئًا ولا يتعرض للناس بتذلل، بل هو غنيٌّ عن الناس، مستغنٍ بربه، لا يلتفت إلى غيره.

الخفيّ: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يُشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد ومن مسجده إلى بيته، من بيته إلى أقاربه وإخوانه، يخفي نفسه، ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علماً أن يتقوقع في بيته ولا ينفع أحداً بعلمه، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمع نفسه ويظهر نفسه ويبين نفسه، وبين أن يخفيها فحينئذ يختار الخفاء، أما إذا كان لابد من إظهار نفسه فلابد أن يُظهرها، وذلك عن طريق نشر علمه في الناس وإقامة دروس العلم وحلقاته في كل مكان، وكذلك عن طريق الخطابة في يوم الجمعة والعيد وغير ذلك، فهذا مما يحبه الله عز وجل.

عن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتدّ بي، فقلت: يا رسول الله، إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلاّ ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» قلت: فالشطر يا رسول الله؟ فقال: «لا» قلت: فالثلث يا رسول الله؟ قال: «**الثلث، والثلث كثير - أو كبير - إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**» قال: فقلت: يا رسول الله، أخلف بعد أصحابي؟ قال: «**إنك لن تخلف فتعمل عملاً**

تبتغي به وجه الله إلاّ ازددت به درجة ورفعة ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»، لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة (١).

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما نقله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النّبي ﷺ جاءه يعوده في مرض ألمّ به وذلك في مكة، ولكن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فتركوا بلدهم لله عز وجل، وكان من عادة النّبيّ ﷺ أن يعود المرضى من أصحابه، كما أنه يزور من يزور منهم؛ لأنه ﷺ كان أحسن الناس خلقًا على أنه الإمام المتبوع صلوات الله وسلامه عليه، كان من أحسن الناس خلقًا وألينهم بأصحابه، وأشدهم تحببًا إليهم.

فجاءه يعوده، فقال: يا رسول الله، إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، أي أصابه الوجع العظيم الكبير، وأنا ذو مال كثير أو كبير، أي أن عنده مالاً كثيرًا، ولا يرثني إلاّ ابنة لي، أي: ليس له ورثة بالفرض إلاّ هذه البنت، أفأتصدق بثلثي مالي أي: اثنين من ثلاثة! قال: «**لا**» قلت: الشطر يا رسول الله، أي بالنصف، قال: «**لا**» قلت: فالثلث، قال: «**الثلث، والثلث كثير**»، قوله: أفأتصدق: أي أعطيه صدقة، فمنع النّبيّ ﷺ من ذلك؛ لأن سعد في تلك الحال كان مريضًا يخشى من الموت؛ فلذلك منعه رسول الله ﷺ أن يتصدق بأكثر من الثلث.

لأن المريض مرض الموت المخوف لا يجوز أن يتصدق بأكثر من الثلث؛ لأن ماله قد يتعلق به حق الغير وهم الورثة، أما من كان صحيحًا ليس فيه مرض، أو فيه مرض يسير لا يخشى منه الموت فله أن يتصدق بما شاء بالثلث أو بالنصف أو بالثلثين أو بماله كله لا حرج عليه.

لكن لا ينبغي له أن يتصدق بماله كله إلاّ إن كان عنده شيء يعرف أنه سوف يستغني به عن عباد الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

المهم أن الرسول ﷺ منعه أن يتصدق بأكثر من الثلث، وقال: «**الثلث والثلث كثير أو كبير**»، وفي هذا دليل على أنه إذا نقص عن الثلث فهو أحسن وأكمل؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لأن النبيّ ﷺ قال: «**الثلث والثلث كثير**».

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «أرضى ما رضيه الله لنفسه»[1] يعني الخمس، فأوصى بالخمس رضي الله عنه.

وبهذا نعرف أن عمل الناس اليوم وكونهم يوصون بالثلث خلاف الأولى، وإن كان هو جائزاً، لكن الأفضل أن يكون أدنى من الثلث، إما الربع أو الخمس، قال فقهاؤنا - رحمهم الله -: والأفضل أن يوصي بالخمس لا يزيد عليه اقتداءً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم قال الرسول ﷺ: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**». أي كونك تبقي المال ولا تتصدق به حتى إذا متّ وورثك الورثة صاروا أغنياء به، هذا خير من أن تذرهم عالة لا تترك لهم شيئًا: «**يتكففون الناس**» أي: يسألون الناس بأكفهم أعطونا أعطونا.

وفي هذا دليل: على أن الميت إذا خلف مالاً للورثة فإن ذلك خيراً له، لا يظن الإنسان أنه إذا خلف المال وورث منه قهراً عليه أنه لا أجر له في ذلك، لا بل له أجر، حتى إن الرسول ﷺ قال: «**خير من أن تذرهم عالة**» لأنك إذا تركت المال للورثة انتفعوا به وهم أقارب وإن تصدقت به انتفع به الأباعد.

والصدقة على القريب أفضل من الصدقة على البعيد؛ لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة.

وقوله: يا رسول الله، أخلف بعد أصحابي؟ فقال: «**إنك لن تخلف**» بل قال قبل ذلك: «**وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ما تجعل**

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٦٦) (١٦٣٦٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٠).

في فيّ امرأتك» ، تُنفق نفقة: أي مالاً إما من الدراهم أو الدنانير أو الثياب أو الفرش أو طعامًا أو غير ذلك تبتغي به وجه الله إلاّ أجرت عليه.

الشاهد من هذا قوله: «**تبتغي به وجه الله**» أي: تقصد به وجه الله عز وجل، بدخولك الجنة ورؤيته سبحانه وتعالى فيها؛ لأن أهل الجنة – جعلني الله وإياكم منهم – يرون الله سبحانه وتعالى وينظرون إليه عيانًا بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر يعني أنهم يرون ذلك حقًا.

فقال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**» أي: حتى اللقمة التي تطعمها امرأتك تؤجر عليها إذا قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق على الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقالت أنفق أو طلق، ومع هذا إذا أنفقت على زوجتك تريد به وجه الله آجرك الله على ذلك.

وكذلك إذا أنفقت على أولادك، إذا أنفقت على أمك، على أبيك، بل إذا أنفقت على نفسك تبتغي بذلك وجه الله فإن الله يثيبك على هذا.

ثم قال ﷺ: «**أخلف بعد أصحابي؟**» يعني: أو خلف بعد أصحابي، أي: هل أتأخر بعد أصحابي فأموت بمكة فبين النّبيّ ﷺ أنه لن يخلف فقال: «**إنك لن تخلف**» وبين له أنه لو خلف ثم عمل عملاً يبتغي به وجه الله لازداد به عند الله درجة ورفعة.

يعني: لو فرض أنك خلفت ولم تتمكن من الخروج من مكة وعملت عملاً تبتغي به وجه الله، فإن الله سبحانه يزيدك به رفعة ودرجة، رفعة في المقام والمرتبة، ودرجة في المكان، فيرفعك الله عز وجل في جنات النعيم درجات، حتى لو عملت بمكة وأنت قد هاجرت منها.

ثم قال النّبيّ ﷺ: «**ولعلّك أن تخلف**» أن تخلف: هنا غير أن تخلف الأولى. لعلك أن تخلف: أي أن تعمر في الدنيا وهذا هو الذي وقع، فإن سعد بن أبي وقاص عمّر زمانًا طويلاً، حتى أنه ﷺ كما ذكر العلماء خلف سبعة عشر

ذكرًا واثنتي عشرة بنتًا، وكان ما عنده إلاّ بنت واحدة، ولكن بقي وعمّر ورُزق أولادًا.

وقوله: «**حتى ينتفع بك أقوامًا ويضر بك آخرون**» وهذا الذي حصل فإن سعدًا ﷺ خلّف وصار له أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وفتح فتوحات عظيمة كبيرة، فانتفع به أقوام وهم المسلمون وضر به آخرون وهم الكفار.

ثم قال النّبيّ ﷺ: «**اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم**» سأل الله أن يمضي لأصحابه هجرتهم وذلك بأمرين:

الأمر الأول - ثباتهم على الإيمان؛ لأنه إذا ثبت الإنسان على الإيمان ثبت على الهجرة.

والأمر الثاني - أن لا يرجع أحد منهم إلى مكة بعد أن خرج منها مهاجرًا إلى الله ورسوله.

لأنك إذا خرجت من البلد مهاجرًا إلى الله ورسوله فهو كالمال الذي تتصدق به ولا يمكن أن ترجع فيه، وهكذا كل شيء تركه الإنسان لله لا يرجع فيه.

ومن ذلك: ما وفّق فيه كثير من الناس من إخراج التليفزيون من بيوتهم توبة إلى الله وابتعادًا عنه وعمّا فيه من الشرور فهؤلاء قالوا: هل يمكن أن نعيده الآن إلى البيت؟.

نقول: لا، بعد أن أخرجتموه لله لا تعيدوه؛ لأن الإنسان إذا ترك شيئًا لله وهجر شيئًا لله فلا يعود فيه؛ ولهذا سأل الرسول ﷺ ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم، وقوله: «**ولا تردهم على أعقابهم**» أي: لا تجعلهم ينتكسون عن الإيمان فيرتدون على أعقابهم؛ لأن الكفر تأخر والإيمان تقدّم، وهذا عكس ما يقوله الملحدون اليوم حيث يصفون الإسلام بالرجعية، ويقولون: إن التقدم أن ينسلخ الإنسان من الإسلام، وأن يكون علمانيًا لا يفرق بين الإيمان والكفر، والعياذ بالله، ولا بين الفسوق والطاعة، فالإيمان هو التقدم في الحقيقة.

المتقدمون هم المؤمنون، والتقدم يكون بالإيمان، والردة تكون نكوصًا على العقبين، كما قال النّبيّ ﷺ هنا: «**ولا تردهم على أعقابهم**».

وفي هذا الحديث فوائد عظيمة كثيرة:

منها: أن من هدي الرسول ﷺ عيادة المرضى؛ لأنه عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي عيادة المرضى فوائد للعائد وفوائد للمعود، أما العائد فإنه يؤدي حق أخيه المسلم؛ لأن من حق أخيك المسلم أن تعوده إذا مرض.

ومنها: أن الإنسان إذا عاد المريض فإنه لا يزال في مخرفة الجنة يعني يجني ثمار الجنة حتى يعود.

ومنها: أن في ذلك تذكيرًا للعائد بنعمة الله عليه بالصحة؛ لأنه إذا رأى هذا المريض ورأى ما هو فيه من المرض ثم رجع إلى نفسه رأى ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية؛ لأن الشيء إنما يعرف بضده.

ومنها: أن فيها جلبًا للمحبة والمودة فإن الإنسان إذا عاد المريض صارت هذه العيادة في قلب المريض دائمًا على قلبه يتذكرها، وكلما ذكرها أحب الذي يعوده وهذا يظهر كثيرًا فيما إذا برئ المريض وحصلت منه ملاقاة لك تجده يتشكر منك وتجد أن قلبه ينشرح بهذا الشيء.

أما المعود: فإن له فيها فائدة أيضًا؛ لأنها تؤنسه وتشرح صدره ويزول عنه ما فيه من الهمّ والغمّ، ومن المرض، وربما يكون العائد موفقًا يذكره بالخير والتوبة والوصية إذا كان يريد أن يوصي بشيء عليه من الديون وغيرها فيكون في ذلك فائدة للمعود، ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن عاد المريض أن ينفس له في أجله، أي يفرحه يقول: ما شاء الله أنت اليوم في خير وما أشبهه، ليس لازمًا أن يقول له أنت طيب مثلاً؛ لأنه قد يكون اليوم أشد مرضًا من أمس لكن يقول أنت اليوم في خير؛ لأن المؤمن كل أمره خير إن أصابه ضراء فهو في خير، وإن أصابه سراء هو في خير. والأجل محتوم إن كان هذا المرض أجله مات، وإن بقي له شيء في الدنيا بقي.

وينبغي أيضًا أن يذكره التوبة، لكن لا يقول له ذلك بصفة مباشرة؛ لأنه ربما ينزعج ويقول في نفسه لو أنه مرض غير خطير ما ذكرني بالتوبة، لكن يبدأ بذكر الآيات والأحاديث التي فيها الثناء على التائبين ما يتذكر به المريض، وينبغي كذلك أن يذكره الوصية لا يقول له أوصِ فإن أجلك قريب لو قال هكذا انزعج بل مثلاً يذكره بقصص واردة عليه.

قال أهل العلم: وينبغي أيضًا إذا رأى منه تشوفًا إلى أن يقرأ عليه، فليقرأ عليه، ينفث عليه بما ورد عن النّبيّ ﷺ مثل قوله: «**اللهم ربّ الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك شفاءً لا يُغادر سقمًا**» (١).

ومثل قوله: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، أنت رب الطيبين، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**» (٢) أو يقرأ عليه بسورة الفاتحة لأن الفاتحة رقية يقرأ بها على المرضى وعلى الذين لدغتهم العقرب أو الحية (٣) وما أشبه ذلك.

المهم أنه إذا رأى من المريض أنه يجب أن يقرأ عليه فليقرأ عليه؛ لئلاّ يلجئه إلى طلب القراءة؛ لأن النّبيّ ﷺ قال: «**رأيت مع أمتي سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» وقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» (٤).

فقوله: «**لا يسترقون**» أي: لا يطلبون أحداً يقرأ عليهم، وكذلك أيضًا إذا رأيت أن المريض يحب أن تُطيل المقام عنده فأطل المقام، فأنت على خير وعلى أجر، أطل المقام عنده وأدخل عليه السرور، وربما يكون في دخول السرور على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٥) ومسلم (٢١٩١).

(٢) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٩) وضعيف الجامع (٥٤٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٩) ومسلم (٢٢٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

قلبه سببًا لشفائه؛ لأن سرور المريض وانشراح صدره من أكبر أسباب الشفاء، فأطل الجلوس عنده حتى تعرف أنه قد ملّ.

أما إذا رأيت المريض متكلف ولا يحب أنك تبقى، أو يحب أن تذهب عنه لكي يبقى مع أهله ويأنس بهم فلا تتأخر، اسأل عن حاله ثم انصرف؛ ففي حديث سعد بن أبي وقاص مشروعية عيادة المريض.

ومن فوائده: حسن خلق النّبيّ ﷺ ولاشك أن النّبيّ ﷺ أحسن الناس خلقًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ١-٤]. فأعظم الناس خلقًا وأحسن الناس خلقًا رسول الله ﷺ؛ ولهذا كان يعود أصحابه ويزورهم ويسلم عليهم حتى إنه يمر بالصبيان الصغار فيُسلم عليهم صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان مشاورة أهل العلم؛ لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه استشار النّبيّ ﷺ حينما أراد أن يتصرف بشيء من ماله فقال: يا رسول الله، إني ذو مال كثير، ولا يرثني إلاّ ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا...» الحديث، ففيه استشارة أهل العلم والرأي، وكل إنسان بحسبه، فمثلاً إذا كنت تريد أن تقدم على شيء من أمور الدين فشاور أهل العلم؛ لأنهم أعلم بأمور الدين من غيرهم، إذا أردت أن تشتري بيتًا فشاور أصحاب المكاتب العقارية، وإذا أردت أن تشتري سيارة فاستشرْ المهندسين في ميكانيكية السيارات وهكذا؛ ولهذا يقال: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»[1].

والإنسان بلا شك لا ينبغي له أن يُكمل نفسه، من ادعى الكمال لنفسه فهو الناقص، بل لابد أن يراجع خصوصًا في الأمور المهمة التي تتعلق بمسائل الأمة فإن الإنسان قد يحمله الحماس والعاطفة على فعل شيء هو في نفسه حق ولا

---

(١) ضعيف، انظر مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٠) والضعيفة (٦١١).

بأس به لكن التحدث عنه قد يكون غير طيب إما في الزمان أو في المكان أو في الحال؛ ولهذا ترك النبيّ ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفًا من الفتنة، فقال لعائشة رضي الله عنها: «**لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم ولجعلت لها بابين، باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه**»(١).

من أجل أن يتمكن الناس من دخول بيت الله عز وجل، لكن ترك ذلك خوف الفتنة مع كونه مصلحة، بل أعظم من ذلك أن الله نهى أن نسبّ آلهة المشركين مع أن آلهة المشركين جديرة بأن تسب وتعاب وينفر منها لكن لما كان سبها يؤدي إلى سب الرب العظيم المنزه عن كل عيب، ونقص، قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾**﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فالمهم أنه ينبغي أن نعلم أن الشيء قد يكون حسنًا في حد ذاته وفي موضوعه لكن لا يكون حسنًا ولا يكون من الحكمة ولا من العقل ولا من النصح ولا من الأمانة أن يذكر في وقت من الأوقات أو في مكان من الأماكن أو في حال من الأحوال، وإن كان هو في نفسه حقًا وصدقًا وحقيقة واقعة، ومن ثم كان ينبغي للإنسان أن يستشير ذوي العلم والرأي والنصح في الأمر قبل أن يقدم عليه حتى يكون لديه برهان؛ لأن الله قال لأشرف خلقه ﷺ وأسدهم رأيًا وأبلغهم نصحًا محمد ﷺ قال: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذا هو رسول الله ﷺ أسدّ الناس رأيًا وأرجحهم عقلاً وأبلغهم نصحًا، فالإنسان ربما تأخذه العاطفة فيندفع ويقول هذا لله هذا أنا سأفعله سأصدع بالحق سأقول: سوف لا تأخذني في الله لومة لائم، وما أشبه ذلك من الكلام، ثم تكون العاقبة وخيمة، ثم إن الغالب أن الذي يحكم العاطفة، ويتبع العاطفة ولا ينظر

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٥) ومسلم (١٣٣٣).

للعواقب ولا للنتائج لا يقارن بين الأمور، الغالب أنه يحصل على يديه من المفاسد ما لا يعلمه إلاَّ الله عز وجل، مع أن نيته طيبة، وقصده حسن، لكن لم يحسن أن يتصرف؛ لأن هناك فرقًا بين حسن النية وحسن التصرف، وقد يكون الإنسان حسن النية لكنه سيء التصرف، وقد يكون سيء النية والغالب أنه سيء التصرف، لكن مع ذلك قد يحسن التصرف لينال غرضه السيء.

فالإنسان يحمد على حسن نيته لكن قد لا يحمد على سوء فعله إلاَّ أنه إذا علم منه أنه معروف بالنصح والإرشاد فإنه يعذر بسوء تصرفه، ويلتمس له العذر ولا ينبغي أيضًا أن يتخذ من فعله هذا الرأي، لم يكن موافقًا للحكمة، بل لا يجوز أن يتخذ منه قدح في هذا المتصرف، وأن يحمل ما لا يتحمله، لكن يعذر ويبين له وينصح ويرشد ويُقال يا أخي هذا كلامك أو فعلك حسن طيب وصواب في نفسه لكنه غير صواب في محله أو في زمانه أو في مكانه.

المهم أن في حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستشير من هو أكمل منه رأيًا وأكثر منه علمًا.

وفيه من الفوائد: أنه ينبغي للمستشير أن يذكر الأمر على ما هو عليه حقيقة لا يلوذ يمينًا وشمالاً، بل يذكر الأمر حقًا على ما هو عليه؛ حتى يتبين للمستشار حقيقة الأمر ويبني مشورته على هذه الحقيقة؛ ولهذا قال سعد: «إني ذو مال ولا يرثني إلاَّ ابنة»، فقوله: «إني ذو مال» بيان لسبب العطية التي يريد أن يعطيها، ولا يرثني إلاَّ ابنة بيان لانتفاء المانع، يعني لا مانع من أن أوصي كثيرًا لانتفاء الوارث.

والمستشار عليه أن يتقي الله عز وجل فيما أشار فيه وأن لا تأخذه العاطفة في مراعاة المستشير؛ لأن بعض الناس إذا استشاره الشخص ورأى أنه يميل إلى أحد الأمرين أو الرأيين ذهب يشير عليه به، ويقول: أنا أُحبُّ أن أوافق الذي يرى أنه يناسبه وهذا خطأ عظيم بل خيانة، الواجب إذا استشارك أن تقول له ما ترى أنه

حق وأنه نافع سواء أرضاه أم لم يرضه، وأنت إذا فعلت هذا كنت ناصحًا وأدّيت ما عليك ثم إن أخذ به، ورأى أنه صواب فذاك وإن لم يأخذ به فقد برئت ذمتك، مع أنك ربما تستنتج شيئًا خطأ، قد تستنتج أنه يريد كذا وهو لا يريده فتكون خسرانًا من وجهين: من جهة الفهم السّيّء، ومن جهة القصد السّيء.

وفي قول الرسول ﷺ «لا» دليل على أنه لا حرج أن يستعمل الإنسان كلمة «لا» وليس فيها شيء؛ فالنبيّ ﷺ استعمل كلمة «لا» وأصحابه رضي الله عنهم استعملوا كلمة «لا».

فجابر رضي الله عنه لما أعيا جمله ولحقه النّبيّ ﷺ، كيف لحقه وهو هزيل، هل الجمل أمام الناس؟ لا! لكن من عادة الرسول ﷺ لأنه راعي أمته أن يمشي في الآخر لا يمشي في المقدمة، بل يمشي وراءهم لأجل أنه إذا احتاج أحد إلى شيء يساعده ﷺ، انظر إلى التواضع وحسن الرعاية.

لحق جابرًا وكان جمله قد أعيا لا يمشي فضربه النّبيّ ﷺ ودعا له وقال: «بعنيه بوقية» قال جابر: «لا» (١). قال: لا للرسول ﷺ ولم ينكر عليه ﷺ، فلا مانع من كلمة «لا» فإنها ليست سوء أدب وخلق، كثيرمن الناس الآن يأنف أن يقول «لا» يقول سلامتك، هذا طيب تدعو له بالسلامة، لكن إذا قلت «لا» فلا عيب عليك.

ومن فوائد الحديث: أنه لا يجوز للمريض مرضًا مخوفًا أن يعطي أكثر من الثلث إلاّ إذا أجازه الورثة؛ لأن الورثة تعلق حقهم بالمال، لما مرض الرجل؛ لقول النّبيّ ﷺ: «الثلث والثلث كثير».

وفيه: دليل على أنه ينبغي أن يكون عطاؤه أقل من الثلث، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لأن النّبيّ ﷺ قال: «الثلث، والثلث كثير» (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨٥) ومسلم (٧١٥) وأبو داود (٣٥٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٤٣) ومسلم (١٦٢٩).

ومنها: أنه لا يجوز للإنسان إذا كان مريضًا مرضًا مخوفًا يخشى منه الموت أن يتبرع بأكثر من الثلث من ماله، لا صدقة ولا مشاركة في بناء مساجد ولا هبة ولا غير ذلك، لا يزيد على الثلث؛ لأن النّبيّ ﷺ منع سعيداً من أن يتصدق بأكثر من الثلث.

والوصية كالعطية فلا يجوز أن يوصي الإنسان بشيء من ماله بعد موته زائداً على الثلث، والأفضل في الوصية أن تكون بالخمس لأثر أبي بكر المتقدم آنفًا.

ومنها: إذا كان مال الإنسان قليلاً وكان ورثته فقراء؛ فالأفضل أن لا يوصي بشيء لا قليل ولا كثير؛ لقوله ﷺ: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ لك من أن تذرهم عالة**» خلافًا لما يظنه بعض العوام أنه لابد من الوصية هذا خطأ، الإنسان الذي ماله قليل وورثته فقراء ليس عندهم مال لا ينبغي له أن يوصي، الأفضل أن لا يوصي.

ويظن بعض العامة أنه إذا لم يوصي فإنه لا أجر له، وليس كذلك، بل إذا ترك المال لورثته فهو مأجور في هذا، وإن كان الورثة يرثونه قهرًا، لكن إذا كان مسترشداً بهدي النّبيّ ﷺ لقوله: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة**» فإن أجره بذلك أفضل من أن يتصدق عنه بشيء من ماله.

ومنها: خوف الصحابة المهاجرين من مكة أن يموتوا فيها؛ لأن سعداً رضي الله عنه قال: «أخلف بعد أصحابي» وهذه الجملة استفهامية، والمعنى «أأخلف؟» وهذا استفهام توقعي مفروض، يعني أنه لا يحب أن يتخلف فيموت في مكة، وقد خرج منها مهاجراً إلى الله ورسوله.

ومنها: ظهور معجزة لرسول الله ﷺ وهو أن الرسول ﷺ قال له: «**إنك لن تخلف وسوف تخلف حتى يضر بك أقوام وينتفع بك آخرون**»، فإن الأمر كما توقعه النّبيّ ﷺ فإن سعداً عمّر إلى خلافة معاوية.

وهذه من آيات النّبيّ ﷺ أن يُخبر عن أمر مستقبل فيقع كما أخبر به، ولكن

هذا ليس خبراً محضًا ولكن توقع لقوله: «**لعلك أن تخلف**» فلم يجزم، ولكن كان الأمر كما توقعه النبيّ ﷺ.

ومنها: أنه ما من إنسان يعمل عملاً يبتغي به وجه الله إلاّ ازداد به رفعة ودرجة حتى وإن كان في مكان لا يحل له البقاء فيه؛ لأن العمل شيء والبقاء شيء آخر؛ ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الإنسان إذا صلّى في أرض مغصوبة فإن صلاته صحيحة؛ لأن النهي ليس عن الصلاة بل النهي عن الغصب.

فالنهي منصبٌّ على شيء غير الصلاة، فتكون صلاته صحيحة في هذا المكان المغصوب لكنه آثم ببقائه في هذا المكان المغصوب، نعم لو ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: لا تصل في أرض مغصوبة، لقلنا إذا صليت في الأرض المغصوبة فصلاتك باطلة، كما نقول إنك إن صليت في المقبرة فصلاتك باطلة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**الأرض كلها مسجد إلاّ المقبرة والحمام**»[1] هذا غير صلاة الجنازة؛ لأنها تجوز حتى في المقبرة.

ومنها: أن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي بها وجه الله فإنه يثاب عليها، حتى النفقات على أهله وزوجته، بل وعلى نفسه إذا ابتغى بها وجه الله أثابه الله عليها.

وفيه: إشارة أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر نيّة التقرب إلى الله في كل ما ينفق حتى يكون له في ذلك أجر.

وقوله ﷺ: «**اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم**» سأل النّبيّ ﷺ ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم، وذلك بثباتهم على الإيمان وبقائهم في الأوطان التي هاجروا إليها من مكة ولهذا قال: «**ولا تردهم على أعقابهم**» الرد على العقب يعني الكفر بعد الإسلام والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ**

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٢) والترمذي (٣١٧) وابن ماجه (٧٤٥) وصححه الألباني في المشكاة (٧٣٧).

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله: «لكن البائس سعد بن خولة..» يقوله النبيّ ﷺ.

سعد بن خولة رضي الله عنه من المهاجرين الذين هاجروا من مكة ولكن الله قدّر أن يموت فيها فمات فيها فرثى له النبيّ ﷺ، أي توجع له أن مات بمكة وقد كانوا يكرهون للمهاجر أن يموت في الأرض التي هاجر منها.

هذا ما تيسر من الكلام على هذا الحديث، والمؤلف - رحمه الله تعالى - ذكره في باب النية؛ لأن النّبيّ ﷺ قال لسعد: «**إنك لن تعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلاّ ازددت به درجة ورفعة**» وقال له: «**إنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها**» فأشار في هذا الحديث إلى الإخلاص في كون الإنسان يبتغي بعمله وبإنفاق ماله وجه الله تعالى حتى ينال على ذلك الأجر وزيادة الدرجات والرفعة عند الله عز وجل، والله الموفق.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعداً (يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه) إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمّاراً، فشكوا، حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي، فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحزم عنها صلاة العشاء، فأركد في الأولين، وأخف في الآخرين، قال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً إلاّ سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم، يُقال له أسامة بن قتادة، يُكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسويّة، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فاطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، وكان بعد ذلك إذا سأل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك بن عمير

الراوي عن جابر بن سمرة فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن»[١].

هذه من الكرامات وهي ما رواه جابر بن سمرة في قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان سعد معروفًا بإجابة الدعوة (مستجاب الدعوة) يعني أن الله أعطاه كرامة وهو أن الله تعالى يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميرًا على أهل الكوفة؛ لأن المسلمين لما فتحوا العراق مصروا الأمصار،وجعلوا البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل لهم أمراء، فأمّر سعد بن أبي وقاص على الكوفة، فشكاه أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر، حتى قالوا: إنه لا يُحسن أن يصلي، وهو صحابيّ جليل، شهد له النّبيّ ﷺ بالجنة.

فأرسل إليه عمر، فحضر وقال له: إن أهل الكوفة شكوك حتى قالوا: إنك لا تُحسن تصلي، فأخبره سعد رضي الله عنه أنه كان يُصلي بهم صلاة النبيّ ﷺ وذكر صلاة العشاء وكانها – والله أعلم – هي التي وقع تعيينها من هؤلاء الشكاة، فقال إني لأصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، لا أحزم عنها. يعني لا أدعها، فكانت أطول في العشاء بالأولين، وأقصر في الآخرين. فقال له عمر رضي الله عنه : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، فزكّاه عمر؛ لأن هذا هو الظن به، أنه يُحسن الصلاة وأنه يصلي بقومه الذين أمر عليهم صلاة النّبيّ ﷺ.

ولكن مع ذلك تحرى عمر رضي الله عنه ؛ لأنه يتحمل المسئولية ويعرف قدر المسئولية، أرسل رجالاً إلى أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد وعن سيرته، فكان هؤلاء الرجال، لا يدخلون مسجداً ويسألون عن سعد إلاّ أثنوا عليه معروفًا، حتى أتى هؤلاء الرجال مسجد بني عبس، فسألوهم، فقام رجل، فقال: أما ناشدتمونا، فإن هذا الرجل لا يعدل في القضية، ولا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسويّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥) ومسلم (٤٥٣).

فقوله: لا يسير في السرية، يعني لا يخرج في الجهاد، ولا يقسم بالسوية، إذا غنم. ولا يعدل في القضية إذا حكم بين الناس، فاتهمه هذه التهم، فهي تهمٌ ثلاث، فقال: أما إن قلت كذا (المتحدث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) فلأدعونّ عليك بثلاث دعوات عظيمة، لكنه استثنى، قال: «إن كان عبدك هذا قام رياءً وسمعة» يعني لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر، عمّر طويلاً وشاخ حتى إن حاجبيه سقطا على عينيه من الكبر، وكان فقيراً وعرض للفتن، حتى وهو في هذه الحال، وهو كبير إلى هذا الحد كان يتعرض للجواري، يتعرض لهن في الأسواق؛ ليغمزهن - والعياذ بالله - وكان يقول عن نفسه: شيخ مفتون أصابتني دعوة سعد.

فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفي هذه القصة فوائد عديدة منها: أن من تولى أمراً في الناس فإنه لا يسلم منهم مهما كانت منزلته، لابد أن يناله السوء؛ ولهذا قال ابن الوردي في منظومته المشهورة التي أولها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هذل

ودع الذكرى لأيام الصبى ... فلأيام الصبى نجم أفل

قال فيها من جملة ما قال من حكم:

إنّ نصف الناس أعداء لمن ... ولى الأحكام، هذا إن عدل

ومن الفوائد أيضًا في هذا الحديث: جواز دعاء المظلوم على ظالمه، بمثل ما أظلمه كما دعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بهذه الدعوات على من ظلمه، ومن فوائدها: أن الله تعالى يستجيب دعاء المظلوم؛ ولهذا قال النّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أموالهم، قال: «**إياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1] فالمظلوم

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

يستجيب الله دعاؤه حتى ولو كان كافرًا، فلو كان كافرًا وظُلم ودعا على من ظلمه أجاب الله دعاءه؛ لأن الله حكمٌ عدلٌ عز وجل، يأخذ بالإنصاف والعدل، لمن كان مظلومًا، ولو كان كافرًا، فكيف إذا كان مسلمًا؟.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجوز للإنسان أن يستثني في الدعاء، إذا دعا على شخص يستثني فيقول: اللهم إن كان كذا فافعل به كذا، اللهم إن كان ظلمني فانصفني منه أو فابتليه بكذا وكذا، تدعو بمثل ما ظلمك.

وقد جاء الاستثناء في الدعاء في القرآن الكريم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩** ﴾ [النور: ٦ - ٩].

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: حرص أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الرعية وتحمله المسئولية والإحساس بها وشعوره بها رضي الله عنه؛ ولهذا اشتهر بعدالته وحسن سياسته في الأمور كلها، الحربية والسلمية والدينية والدنيوية، فهو في الحقيقة خير الخلفاء بعد أبي بكر، بل حسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن الذي ولاه على المسلمين هو أبو بكر رضي الله عنه؛ فالحاصل أن هذا الحديث فيه فوائد نقتصر منها على ذلك، والله الموفق.

فضل سعيد بن زيد رضي الله عنه

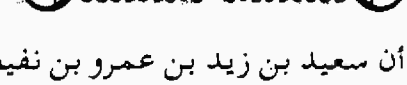

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوّقه الله إلى سبع أرضين**» فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذا وقعت في حفرة فماتت (١).

وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه «وأنه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد، وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها، فوقعت فيها وكانت قبرها».

من كرامات الأولياء: الله سبحانه وتعالى يُجيب دعوتهم، حتى يدركوها بأعينهم، فهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، خاصمته امرأة ادّعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته عند مروان، فقال: أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قالوا: وماذا سمعت؟ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوّقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين - أو طوقه يوم القيامة من سبع أراضين**» يعني فكيف آخذ منها بعد أن سمعت هذا من النّبيّ ﷺ؟ كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله إذا سمع مثل هذا الخبر الصادر عن الصادق المصدوق ﷺ فإنه لا يمكن أن يظلم أحدًا من أرضه ولا شبرًا؛ فالرسول ﷺ يُخبر أنك لو أخذت شبرًا من

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨) ومسلم (١٦١٠).

الأرض، وقيده بالشبر من باب المبالغة، وإلاَّ فإن أخذ أقل من ذلك ولو سنتيمتر واحداً، فإنه يطوق به يوم القيامة من سبع أراضين، إذا كان يوم القيامة جاءت هذه القطعة التي أخذها مطوقة في عنقه من سبع أراضين؛ لأن الأراضين سبع طباق، كما قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٢].

والإنسان إذا ملك أرضاً، ملك قعرها إلى أسفل السافلين، إلى الأرض السابعة، وإذا ملكها أيضاً ملك هواءها إلى الثريا، لا أحد يستطيع أن يبني فوقه جسراً أو أن يحفر تحته خندقاً؛ لأن الأرض له إلى أسفل السافلين، وإلى أعلى السماء، كلها له، إذا كان يوم القيامة، وهذا قد اقتطع شبراً من الأرض بغير حق، فإنه يأتي يوم القيامة مطوق به عنقه – نسأل الله العافية – .

وعند جميع العالم كل شيء محشور يوم القيامة حتى الوحوش تُحشر، حتى الإبل، حتى البقر، حتى الغنم.. كلها تحشر يوم القيامة، وهذا يشاهد حاملاً هذه الأرض – والعياذ بالله – من سبع أراضين؛ ولهذا قال النَّبيّ ﷺ: «**لعن الله من غير منار الأرض**» غير منارها: أي غير مراسيمها، فادخل شيئاً ليس له، وفي هذا دليل على أن قصف الأرض أو أخذ شيء بغير حق من كبائر الذنوب؛ لأن عليه هذا الويل العظيم، اللعن وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقوم اليوم يأخذون أميالاً بل آلاف الأميال – والعياذ بالله – بغير الحق، يأخذونها يضيقون بها مراعي المسلمين، ويحرمون المسلمين من مراعيهم أو من طرقهم أو ما أشبه ذلك، هؤلاء سوف يطوقون ما أخذوا يوم القيامة والعياذ بالله؛ لأنهم أخذوها بغير الحق، المراعي للمسلمين عموماً، الخطوط والطرقات للمسلمين عموماً، الأودية أودية الأمطار للمسلمين عموماً.

ولهذا قال العلماء: إن الإنسان لا يملك بالأحياء ما قرب من عامر وهو يتعلق بمصلحة هذا العامر، حتى لو أحياها وغرسها يقلع غرسه ويهدم بناؤه إذا كان هذا يتعلق بمصالح البلد، والبلد ليست ملكاً لفلان أو علان، بل هي لعموم المسلمين، حتى لو فرضنا أن ولي الأمر أقطع هذا الرجل من الأرض التي يحتاجها

أهل البلد، فإنه لا يملكها بذلك؛ لأن ولي الأمر إنما يفعل لمصالح المسلمين، لا يخص أحداً بمصالح المسلمين دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية؛ ولهذا لما ارتفعت قيم الأرض صار الناس - والعياذ بالله - يعتدي بعضهم على بعض، يدّعي أن الأرض له وهي ليست له يكون جاراً لشخص، ثم يدخل شيئًا من أرضه إلى أرض، وهذا على خطر عظيم، حتى إن العلماء - أقول لكم كلامًا تعجبون منه - قالوا: لو أن الإنسان بنى جداراً ثم زاد في لياصته (المحارة) إذا زاد في لياصته دخل على السور سنتيمتراً في اللياصة فإنه يكون ظالمًا، ويكون بذلك معاقبًا عند الله يوم القيامة!!، إلى هذا الحد!!.

الناس الآن - والعياذ بالله - يبلعون أميالاً أو أمتاراً مع هذا الوعد الشديد، سعيد بن زيد ﷺ، لما حدث مروان بهذا الحديث، قال: الآن لا أطلب عليك بيّنة؛ لأنه يعرف أن سعيداً لا يمكن أبداً أن يأخذ من أرض هذه المرأة بدون حق، أما المرأة، فقال سعيد ﷺ: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها وأهلكها في أرضها. فماذا كان، أعماها الله عز وجل قبل أن تموت وبينما هي تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت، فكانت البئر قبرها في نفس الأرض التي كانت تخاصم سعيد بن زيد ﷺ فيها، وهذا من كرامة الله عز وجل لسعيد بن زيد أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًا قبل أن يموت.

وقد سبق لنا أن المظلوم تُجاب دعوته ولو كان كافراً إذا كان مظلومًا؛ لأن الله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم؛ لأن الله تعالى حكمٌ عدلٌ لا يظلم ولا يُمكن أحداً من الظلم، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

فالظالم لا يفلح أبدًا؛ ولذلك انظر إلى هذه القصة وإلى قصة سعد بن أبي وقاص ﷺ التي ذكرناها سابقًا وكيف أجاب الله الدعوة؟ وهذه هي عادة الله سبحانه وتعالى في عباده، نسأل الله أن يحمينا وإياكم من الظلم، والله الموفق.